

معركة لهري

(13 نونبر 1914)

صفحات من الجهاد الوطني



محمد بن الحسن

أستاذ التعليم العالي

محرقة لهري

(13 نونبر 1914)

صفحات من الجهاد الوطني

محمد بن حسن

أستاذ التعليم العالي

☐ معركة لهري (13 نونبر 1914)

صفحات من الجهاد الوطني

☐ تأليف : محمد بن بلحسن

☐ الطبعة الأولى نونبر 2001.

☐ جميع حقوق الطبع محفوظة.

☐ الإيداع القانوني 2001/1493

☐ طبع وتصميم : مطبعة أنفو- برانت 12 شارع القاسية الليدو – فاس.

☎ : 055 64 17 26

مقدمة

هناك مرحلة خطيرة في المغرب، لم يهتم بها المغاربة الذين عاصروها، اهتماما يذكر، ولا الذين تلوهم، بتدوين أحداثها مع أنها من أخطر ما مر بالمغرب من أحداث، وهذه المرحلة هي مرحلة الصراع المسلح المغربي- الفرنسي، الذي ظلت فيه جيوش الإحتلال وجها لوجه مع سكان الجبال الأطلسية، لمدة لا تقل عن نصف مدة الحماية، والذي بلغ (أي الصراع) في بعض أدواره إلى الحد الذي كان صراع وجود. ومعركة لهري هي إحدى وقفات هذا الصراع، وميزتها أنها كانت حاسمة لمصلحة المغرب.

إن معركة لهري ليست إلا صورة من صور الصراع الحضاري الذي عاشه المجتمع المغربي منذ بداية القرن السادس عشر، عندما قام ذلك التحالف غير المقدس بين الكنيسة وملوك البرتغال ضد الإسلام والمسلمين، ويومئذ خاضت الأمة المغربية قتالا مريرا، استمر عقودا طويلة، اقتلعت في نهايته الثغور المحتلة، فحققت استقلالها عبر القتال، الذي فرضه عليها الاعداء

ثم توالى القرون، وجاءت الغزوة الحديثة التي قادتها فرنسا بعد أن تنازلت لها الدول الأوروبية الأخرى، وتحالفت مع إسبانيا باسم الغرب الصليبي الناهض، كما تحالفت إسبانيا والبرتغال بالأمس.

ولم تقف هذه الوثبة الجديدة - على غرار الأولى - عند الإحتلال العسكري وما ينجم عنه من نهب لخيرات البلاد، ومن تبعية سياسية، بل كانت تتعدى ذلك إلى استعمار ثقافي حضاري شامل يروم سلخ الشعب المغربي عن هويته الإسلامية، وإلباسه الثقافة اللاتينية وقد رأت فرنسا أن ذلك يواتيها في أمازيغي الاطلس المتوسط قبل غيرهم، لأنهم حسب زعمها- لم يصبهم التغيير والتبدل، منذ تلك الازمان البعيدة السابقة لمجيء العرب إلى المغرب، ذلك أن أعرافهم وتقاليدهم، لا زالت متمكنة منهم، وبالتالي لم ينل الإسلام من نفوسهم شيئاً كثيراً، بل هناك من درج على أنهم لا زالوا على حالتهم "البدائية"، ثم إنهم لم يفكروا إلا في الخلاص من حكامهم الظلمة الطغاة، ولا ينتظرون إلا الاجنبي ليخلصهم من هؤلاء الحكام، وبهذا المنطق التبسيطي اعتقدت فرنسا أن مشروعها الحضاري سوف لن يلقى أدنى مقاومة

غير أن القبائل الأمازيغية، كانت على جانب كبير من الوعي، فإذا تفاعلت مع الفكر الوافد، وقلدت النصارى ذابت في تقاليدهم، ولذلك رفضت التجزئة والتفريق والتقسيم، وفهمت أن في تعاليم الإسلام سر قوتها، فعادت - بعدما كانت مفككة ومتناحرة- إلى التماسك والوحدة، تحت لواء الجهاد، فتوفرت لها الإرادة السياسية وتجسدت في كتلة منظمة تحت قيادة مطاعة.

وما من شك أن القائد موحا وحمو، أدرك ما للمناداة بالجهاد من دور، فرفض الإستسلام، ونبذ وراء ظهره مغريات المستعمر وحياة الترف، وقام يوحد جماهير الفلاحين على مسافات واسعة من المغرب الأوسط، خرجت منها مقاومة، استطاعت أن تقف أكثر من خمسة عشر عاما أمام الغزاة

فما أن بدأت فرنسا تقتطع أطراف المغرب، في بداية القرن العشرين حتى قذف بالمجاهدين في معارك الشاوية (1908) وعلى مشارف السهول، وأبواب مدينة مكناس (1911)، وهضاب ولماس وأداروش، ومنخفض تكريكرة قرب مدينة أزرو...

ولما وصلت الفيالق الفرنسية إلى منحدرات الأطلس المتوسط سنة 1914، عاد موحا وحمو إلى بلاده لخوض حرب ضروس أخرى، دامت زهاء سبعة أعوام، وكانت هذه السنوات كلها سنوات البطولة والإستشهاد، إما لعرقلة تقدم العسكر الإستعماري داخل الجبال وإما للإنقضاض عليه، وإما للكمون له على طريق المواصلات بقصد تدمير قواته، ونشر الرعب في صفوفه

غير أن الذي توج هذا الجهاد المبارك هو الإنتصار الباهر

الذي حققته المقاومة في معركة لهري يوم 13 نونبر 1914

تعتبر معركة لهري الخالدة حدثا وطنيا بارزا، خلقت للعقل

الإستعماري غلافا من التوتر الدائم، وكابوسا حقيقيا، ولنتذكر أثر

مفاجأة المعركة المرعب على لسان القادة الفرنسيين من أمثال الجنرال هنريس، والجنرال كتيوم، والمارشال ليوطي، بأنها المعركة التي لم يسبق للجيش الفرنسي أن تعرض لمثلها على مستوى شمال إفريقيا. وحتى وإن لم تستقطب الرأي العام المغربي قاطبة، نظرا للتعظيم الإعلامي والحصار الشديد الذي فرضه المستعمر على الأخبار الواردة من لهري، فإنها (أي المعركة) فجرت حركة عصيان جماهيرية، كادت أن تشهد توحيد المقاومة الوطنية على اختلاف فصائلها.

بيد أنها حققت تضامناً القبائل الأطلسية المختلفة مع قبائل زيان، في جهادها البطولي دفاعاً عن حوزة الدين والوطن، وصموداً أمام الزحف الإستعماري الفرنسي. وقد استطاع هذا التضامن القبلي، الذي تواجد في أرض المعركة بالدم والمال، أن يسجل في ذلك اليوم أول هزيمة للجيش الفرنسي الذي لم يعرف من قبل سوى الانتصارات، وأن يحسم لصالح المغرب جولة من جولات الصراع ضد حضارته واستقلال بلاده، كما كان قد سجل من قبل انتصارات ضد الجيش البرتغالي والإسباني في جولات سابقة.

وفي كل هذه الجولات كانت الوحدة بين عناصر الأمة هي سبيل استعادة الحق وطريق تحرير الأرض من غاصبها.

وإن الذي دعانا إلى الإهتمام بهذا الموضوع هو قضية الإسلام المهاجم، فبمجرد أن بدأنا نجمع المعلومات الأولى من مظانها، تبين لنا أن الأمر لا يتعلق فقط بغزو استعماري كلاسيكي، ولكن يتعلق أيضا بصبغ العقول بصبغة فرنسية وتثقيفها بثقافة فرنسية واحتلالها بلغة فرنسية، بمعنى آخر أن الخطر كان يستهدف القضاء على الإسلام ومحو كل مظاهر الحضارة الإسلامية لتدعيم سلطة الكنيسة.

والأمر الثاني هو أن هناك دراسات مغرضة تهدف إلى النيل من وحدة الأمة المغربية كما تهدف إلى زرع بذور الفتنة والتفرقة بين المغاربة العرب والمغاربة الأمازيغيين، وتطمح بالعودة بهؤلاء إلى الأزمنة السابقة لمجيء العرب ومعهم الإسلام.

وإذا كان لا ينتظر من المؤرخين الاستعماريين رواية الأحداث بالمنهجية العلمية نظرا لأن الكثير منهم، إن لم نقل جلهم، حاولوا تشويه الجهاد الأمازيغي، وقدموه في صورة مغايرة لطمس الحقائق، وإخفاء ما يمس بالمجد والبطولات، فإنني بعدما اطلعت على المصادر الوطنية أصبت بخيبة كبيرة، لما لم أجد مايشفي الغليل عند مؤرخينا المعاصرين زمن الواقعة، باستثناء أحمد المنصوري الذي وضع الواقعة في إطارها الزمني بشيء من

التوسع، إذ خصص حوالي عشرين صفحة، بين فيها اطوار الهجوم على مخيم القائد موحا وحموفي قرية لهري وكيفية الرد الزباني أما المؤرخون أمثال عبد الرحمان بن زيدان ومحمد غريط ومحمد بن الحسن الحجوي وعبد الواحد ابن المواز...، فإنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء حتى بإيراد مقتضب لخبر واقعة 13 نونبر 1914.

ويبدو أن هؤلاء هادنوا الوضع الجديد، والتزموا ببند الحماية، واكتفوا بمطالبة فرنسا بالإيفاء بما وعدت به من إصلاحات، تمكن المغرب من التطور السريع، نحو وضع يسمح له بتسيير شؤونه بنفسه، معتقدين أن المقاومة لا طائل من ورائها. ولكن كيف غاب عليهم - وهم من العلماء الأجلاء - كل ما كانت تقوم به فرنسا، وتؤسسه لتشويه العقيدة وضرب الحضارة الإسلامية؟ كيف غاب عنهم أن "السياسة البربرية" التي نهجتها فرنسا في المناطق الأمازيغية، إنما كانت تهدف إلى نشر العداوة والبغضاء بين عناصر الأمة ؟

وهكذا يتضح أن الحاجة تدعو إلى الإهتمام بتاريخ المقاومة، التي قامت على أكتاف المستضعفين والبسطاء الذين لم يفوزوا إلا ببعض السطور، هي في معظمها قدح وتشويه، وربما صنفوا في عداد "العصاة" و "الخارجين عن السنة والجماعة"، وذلك قبل أن

تندثر معالم هذا التاريخ وتتمحي آثاره، وتتدخل الأسطورة ويمتزج فيها الواقع بالخيال، فيصعب إعادة المعارك إلى المجال التاريخي. لقد كان من وراء تأليف هذا الكتيب، إبراز جهاد الأطلسيين الذين تحملوا بصبر عجيب وشجاعة نادرة، شراسة حملات الجيش الفرنسي، دفاعا عن عقيدتهم ووطنيتهم. وهذا الكتيب يعنى أساسا بالأسباب المفجرة لمعركة لهري واستجلاء ظروفها وأطوارها، لذلك جعلته في قسمين

في القسم الاول درست

- 1 - فشل غزو زيان رغم احتلال خنيفرة
- 2 - فشل استقطاب موحا وحمول مشروع الحماية
- 3- خنيفرة تتحول إلى بريزيديو Presidio .

في القسم الثاني، حاولت استجلاء ظروف المعركة واستشفاف أطوارها في أربع نقط:

- 1- محاولة فك الحصار على خنيفرة باختطاف قائد المقاومة.
- 2 - الإستعداد للهجوم على مخيم لهري
- 3 - معركة لهري الأولى والإستيلاء على المخيم
- 4 - معركة لهري الثانية والنصر المبين .

القسم الأول

الدوافع المفجرة لمعركة "لهري"

1- فشل غزو بلاد زيان رغم احتلال خنيفرة.

تم احتلال مدينتي خنيفرة وتازة ضمن استراتيجية للسياسة التوسعية العامة التي نهجها الجنرال ليوطي ، المقيم العام، المكلف بتنفيذ مشاريع الدولة الفرنسية في المغرب ، وذلك من أجل محاصرة تحركات ومواقع المقاومة في الأطلس المتوسط ، حيث انضمت قوات الجنرال BAUMGARTEN الآتية من وجدة مع قوات الجنرال GOURAUD الآتية من فاس ، ودخلت كلها مدينة تازة ، وبذلك تم ربط الاتصال بين فاس و وجدة عبر تازة

وتكامل هذا المخطط بالإستيلاء على خنيفرة ، عاصمة زيان (12 يونيو 1914)، شهر بعد احتلال تازة ، وكانت الغاية من عمليات زيان ترمي إلى تحقيق الأهداف التالية

الأول ، توسيع المنطقة الخلفية للشاوية التي كان يتسلل إليها المقاومون الزيانيون بتحريض من قائدهم (1) ، وينتشرون في المناطق الساحلية بين الدار البيضاء وهضاب المغرب الأوسط.

كانت هذه المنطقة الغنية (أي الشاوية) من المناطق الأولى التي عرفت ازدهارا كبيرا في استثمار الأموال المستوردة ، والتي توغلت فيها الرأسمالية الأجنبية مسجلة نجاحها الأول في المضاربة العقارية ، وذلك قبل توقيع عقد الحماية على المغرب (30 مارس 1912). ففي سنة 1911 وصل ثمن المتر المربع من الأرض إلى

25 فرنكا ثم قفز ليصل إلى 40 فرنكا سنة 1912 ، ف 50 فرنكا سنة 1913 ، ثم 70 و 100 في نفس السنة وكان الهكتار من الأرض يباع بين 60 و 70 فرنكا في المتوسط سنة 1911 ، ثم قفز إلى 200 فرنكا (2) والحالة أن هذه المنطقة أو ما كان يسمى بـ "مغرب الصفقات" (le Maroc des affaires) ، لم تكن في مأمن من غارات المقاومة ، وقد لاحظ Bernard أن

استغلال السهول و الهضاب الواقعة على الضفة اليمنى

لنهر أم الربيع لا يمكن أن يتم إلا بإخضاع الكتلة الزيانية (3).

الثاني وجود بلاد زيان بالأطلس المتوسط المركزي جعلها

في وضعية ممتازة ، لا تكاد تجدها عند غيرها من حيث الأنهار العظيمة (أم الربيع) و المراعي الدائمة و الغابات الكثيفة ، ولذلك صنفها ليوطي ضمن "المغرب النافع"

الثالث انعكاس المقاومة الزيانية على جزء كبير من

المغرب الأوسط، حيث عمت موجة من السخط و الغضب كثيرا من قبائله سواء منها المهدئة" (كروان ، بني مطير ، زعير) أو التي لم يصلها الاحتلال بعد ، (آيت إحد ، اشقيرن ، آيت إسحاق ...) ، وأصبح امتداد المقاومة متوقعا ، بعد أن أخذ المناهضون للتدخل الفرنسي يتوافدون على بلاد زيان (4) ، مما جعل ليوطي يصرح:

إن بلاد زيان تصلح لكل العصاة بالمغرب الأوسط ،
وإن إصرار المجموعة الهامة في قلب منطقة احتلالنا
وعلاقتها المستمرة مع القبائل الخاضعة ، يشكل خطراً
فعلياً على وجودنا ، فالعصاة و المتمردون و القراصنة
مطمئنون لوجود ملجأ وعتاد ومواد ، وقربها من محطات
الجيش و مناطق الإستغلال جعل منها تهديدا دائما بالنسبة
لموقعنا (5)

الرابع ، تحكم زيان في الجادة الكبرى التي تربط الشمال
بالجنوب عبر تادلة - خنيفرة - فاس - تازة - وجدة، وكما يقول
Lucien Saint، عضو مجلس الشيوخ الفرنسي ، بدون أطلس
خاضع ، يبقى غزو المغرب غير ثابت و متزعزعا ، من هنا ندرك
أن فتح هذه الطريق ضرورة حيوية لإتمام غزو المغرب النافع
من أجل ضمان تزويد الميتروبول بما تحتاج إليه من مؤن وجند
ويد عاملة، سيما وأن ليوطي بدأ، منذ بداية 1914 ، يستشعر
حدوث حرب بين بلاده وبين ألمانيا (6)، كتب A.Bernand يقول:
طالما أن هذه الطريق ليست في أيدينا، فإن وحدة
إمبراطوريتنا الإفريقية تبقى غير ثابتة (7).

لهذه الأهداف كان ليوطي يتسابق مع الزمن لإنهاء "مشكلة"
زيان قبل أن تقوم حكومته بسحب عدد من الوحدات المرابطة

بالمغرب، وإرسالها إلى الجبهة الأوروبية لتعزيز قدرات الجيش الفرنسي ضد ألمانيا.

وقد أنيط الجنرال هنريس Henrys بمهمة الغزو، وشرع على التو محاصرة زيان في الميادين الاقتصادية و العسكرية والسياسية

اقتصاديًا، ارتبط الغزو الاستعماري بالسيطرة على الطرق التجارية بهدف تحطيم التجارة حتى تصبح القبيلة في أمس الحاجة لمساعدة المستعمر، حيث عمل هذا الأخير على تطويق زيان (8)، من جميع الجهات وخاصة من جهة الشمال لحرمانها من تموين السهول، ومن الشمال الغربي لفصلها عن المراعي الأزرارية، وعزلها عن قبائل المغرب الأوسط، قصد تصغير مساحتها وتكميشها إلى أصغر وحدة، بشكل لا يسمح لها بالصمود أمام العدو وهذا ما صرح به ليوطي نفسه

إن الاعتبار الاقتصادي، يتفق و الاعتبار الحربي،
وحيثما أمسك بالسوق إلى جانب مدافعي، فسوف
أتحكم في البلاد، ويمكنني حسبما أردت، نشر الرخاء
أو الجوع (9).

وهكذا تم تحويل الطرق التجارية عن المنطقة، وأصبحت بلاد زيان تحت الهيمنة الفرنسية، في انتظار الهجوم عليها من

جهات مختلفة، بعد ما تكون قد أصيبت بالوهن الاقتصادي الناتج عن منع دخول السلع إليها وخاصة الأسلحة.

عسكريا، أقام الجنرال هنريس- بعد احتلال قبائل بني مطير وبني مكثيل سنة 1913- سلسلة من المراكز العسكرية بإيطو، وإيفران وأزرو (انظر الخريطة). وفي الشمال لبلاد زيان، احتل الجنرال F.Desperey قبائل زعير، وأسس مراكز أخرى في تيداس وولماس، والمعازيز، ومولاي بوعزة. وفي الجنوب، كانت تادلة - منذ سنة 1913- في يد الاحتلال الفرنسي، بعد الحملة العسكرية التي قادها الكولونيل Mangin وفي بداية 1914 تم إحكام التطويق العسكري، كما جاء في تقرير ليوطي الذي بعث به إلى وزارة الحربية:

إن الزياني (أي موحا وحمو) أصبح من

الآن فصاعدا محاصرا في جحره (10)

وبدأ تهيئ العمليات ضد زيان، خصوصا بعدما تحقق المخطط الأول الذي انتهى باحتلال تازة. وقد أصدر المقيم العام أوامره ليبدأ الهجوم

قبل نهاية موسم الحصاد الذي بإمكانه أن يحرم القيادة من وسائل الضغط ضد العدو، و قبل أن يقل الماء (11).

وقد تم الهجوم من ثلاث جهات، كانت تكون ثلاث نقاط ارتكاز وقواعد التموين للجيش المهاجم، انطلاقا من مراكز أفوغال قرب مولاي بوعزة، ووادي إيفران وأبي الجعد.

- من جهة الجنوب، وقع الهجوم حول مريرت في 8 يونيو بقوات تعدادها ثلاثة أفواج ونصف الفوج، وثلاث سرايا، وثلاث بطاريات مدفعية، يقودها الكولونيل Claudel ومعه الجنرال هنريس قائد العمليات العسكرية في بلاد زيان.

- من جهة الغرب مجموعة الكولونيل GARNIER DUPLESSIS، وتتوفر على ثلاثة أفواج، وسريتين من المشاة، وقطعتين مدفعية.

- ومن الشمال جاءت فرقة الرباط تحت قيادة اليوتنان كولونيل CROS، وتتكون من ثلاثة أفواج ونصف الفوج، وسريتين وقطعتين مدفيعيتين.

كانت هذه المجموعات الثلاثة تتوفر على عشرة أفواج و7 كتائب و 7 قطع مدفعية، أي حوالي 15000 جنديا و 360 ضابطا، وقد انطلقت في آن واحد متجهة نحو خنيفرة

وفي يوم 8 يونيو بدأ رد فعل المقاومة (12)، بعد أن قسم القائد موحا وحمو المجاهدين إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تهاجم من ناحية وادي إيفران ضد جيش CLAUDEL، والمجموعة

الثانية تحت قيادة ابن عمه موحا وعقى ومستشاره، قائد قرية سيدي محمد ابن امبارك، ناحية مولاي بوعزة ، تعترض سبيل جيش CROS و .G.DUPLESSIS.

ورغم أن المجاهدين كانوا لا يملكون شيئا مما يعتبر سلاحا الا بقايا من الحروب القبلية أو قطعاً صغيرة من الأسلحة الحديثة مما استطاعوا أن يشتروه، فإن المقاومة كانت شديدة على مدى خمسة أيام، تضامنت فيها القبائل الموجودة في أرض المعركة بالدم و المال. ودارت معارك طاحنة أبان فيها الشعب عن روح قتالية عالية، تمثلت من خلال جموع الفلاحين الذين تطوعوا للمشاركة في الحرب، دفاعاً عن دينهم وأرضهم ، كما أبان ذلك الشعب عن الأساليب القتالية الجديدة التي ابتكرها ليواجه بها تفوق العدو، ويكسر بها حدة هذا التفوق، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تذكر المصادر (13) أن القائد موحا وحمو وضع خطة هجوم على جيش كلوديل CLAUDEL يوم 8 يونيو، تعتمد على حشد مجموعة من المجاهدين المشاة، تقوم بحركة مندفة نحو المعسكر الفرنسي الموجود بوادي ايفران، تليها مجموعة أخرى مسلحة بالخناجر. وكانت مهمة المجموعة الأولى تنحصر في الإستيلاء على مواقع حراس المعسكر، وعندما يرخي الليل سدوله تندفع إلى داخل المعسكر . وبمجرد سماع الرصاصة الأولى، التي يطلقها

حسن بن موحا وحمو، تقوم المجموعة بإطلاق النار بكثافة. وتزداد هذه الكثافة شيئاً فشيئاً كلما توغل المقاومون داخل المعسكر الفرنسي. أما المجموعة الثانية، فقد أعطيت لها الأوامر للتدخل والمشاركة في الاشتباك عندما يحتد رد فعل العدو. وهكذا اشتبك الطرفان في معركة عنيفة، استعملت فيها البنادق و الخناجر والحرب، ولم تنته إلا بعد بزوغ فجر يوم التاسع من يونيو 1914، وقد أسفر هذا القتال على 4 قتلى من الجانب الفرنسي من بينهم ضابط و 11 جريحاً، ولم تذكر المصادر خسائر المقاومين (14).

وعلى الجبهة الشمالية الغربية دارت معارك أخرى حول مولاي بوعزة وكلموس، سعى فيها المقاومون إلى قطع الطريق على جيش CROS. حيث هاجمت قبائل آيت بوخيو مركز مولاي بوعزة، كما قامت كوكبة من فرسان القبائل باعتراض الكتائب الفرنسية في المكان المسمى "عوينات"، وعندما وصلت مجموعة CROS إلى الممر الجبلي "تازروت موخبو (الحجرة المثقوبة) دارت معركة أخرى

وقبل دخول القوات الفرنسية عاصمة زيان، يوم 12 يونيو، نزلت المقاومة بكل ثقلها، وأخذ المجاهدون في الجبال المحيطة بخنيفرة، يناوشون العدو طيلة النهار. وفي التقارير التي دونت أحداث هذا اليوم، يقول أحد الضباط المشاركين :

استمر الزيانيون في مناوشة المجموعات الثلاثة

بعناد كبير واستهانة بالموت (15).

ويقدم لنا ضابط آخر صورة أخرى ، تجسد معنى الإصرار

الزياني على مقاومة المحتل رغم احتلال المدينة

ظل فرسان زيان يناوشون المجموعات الثلاثة طيلة ذلك

اليوم، ويحومون حولها كالزنابير، مهددين بجسارة مجنونة

دفاعات الفرنسيين، الذين كانوا يردون على مهاجمتهم

بفتور (16).

وهنا نضع سؤالاً هل انتهت مقاومة زيان باحتلال

عاصمتهم ؟

استناداً إلى التقارير الفرنسية (17)، لم يخف ليوطي إعجابه

وازدهاءه بما حققه جيشه فهام الزيانيون قد غادروا مدينتهم لشدة

ما داخلهم من الخوف، وحزموا أمتعتهم، وأخرج موحا وحمو

أثقاله وذهب إلى الجبال من ليلته منكسراً، وتم ربط الاتصال بين

مراكش وفاس عبر خنيفرة، وأصبحت السهول و الهضاب الواقعة

على الضفة اليمنى لنهر أم الوبيع في مأمن من غارات المقاومة،

بحيث يستطيع المعمرون الاستقرار على الساحل الأطلسي، و البدء

في استغلال المغرب النافع (18) وحيل بين القبائل وبين

مراكز تموينها، فهي لا تستطيع الآن النزول إلى السهل لقضاء أوطارها، ناهيك عن فصل الشتاء المقبل الذي لا تستطيع فيه مغادرة جبالها المكسوة بالثلوج، لانتجاع أراضيها الشتوية في الأزغار ومراعيها في السفح، لأن في حالة نزولها ستصبح على مرأى من محتلي خنيفرة، وفي تناول مدافعهم، ومن ثم - حسب زعم ليوطي - لن يلبث الزيانيون أن يتشكوا من الفقر والبؤس، ويعودون إلى أراضيهم الأزاغارية، بعد استسلامهم على غرار ما وقع لبني مطير وبني مكيلد سنة من قبل، وقد وصف J.D'ESME احتلال خنيفرة بأنه

بمثابة القلب وقلدة الكبد وإنجاز العمر (19)

وإتماما للصورة وتعصيذا للفكرة ، نسوق فقرة من رسالة

ليوطي التي بعث بها إلى صديقه A. Lazard.

إن احتلال زيان - في وسط الجبل - الذي تم تنفيذه في مدة ثلاثة أيام بمشاركة ثلاث فرق عسكرية في حركة مندفة نحو خنيفرة ، لهو - في حد ذاته - إنجاز ضخم بالنسبة لوجودنا

في المغرب ، يفوق ما حققناه في تازة (20)

مجمل القول إن احتلال خنيفرة توج نهاية غزو المغرب النافع، وفتح الطريق بين الجهة الشرقية والجهة الغربية، وأكثر من ذلك ربط الإتصال بين المستعمرات الفرنسية في الشمال الإفريقي،

وأصبحت خنيفرة حصنا حصينا في وجه تسربات المقاومة ضد
"مغرب الصفقات"

لقد تحقق هذا الإنجاز في وقت كانت فرنسا في حاجة إلى
مجندي المغرب ، وإلى موارده لتعزيز قدراتها الدفاعية ضد ألمانيا،
وحسبنا أن نستدل على ذلك بان ليوطي رفض أوامر حكومته،
عندما طلبت منه سحب الجيش من داخل المغرب وحصر الاحتلال
في السواحل (21)

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل نجحت هذه العزلة
الجغرافية و الاقتصادية التي فرضها ليوطي على زيان ؟
خلافًا لما كان يعتقد ساسة الاستعمار و على رأسهم الجنرال
هنري من أن الزيانيين لا يفكرون إلا في الخلاص من قائدهم
الظالم الطاغي ، وأنهم ينتظرون مجيء الفرنسيين لإشعال الثورة
ضده ثم يسلمون لهم الزمام، فإن ذلك لم يحدث ، ولا شيء منه،
على الرغم من أن الغزاة سعوا إليه واستهدفوه، وأعلنوا أنهم قاب
قوسين أو أدنى منه في القضاء على المقاومة وتفكيك وحدتها (22).

صحيح أن سقوط خنيفرة هز بدرجات مختلفة زيان من
أقصاه إلى أقصاه، باعتبارها رمز عظمتهم ومركز فخرهم، كما
هز القبائل الأطلسية المجاورة (23)، لكن ماذا يمثل هذا الاحتلال

وسط جماهير الفلاحين الذين - وإن غادروا مدينتهم بانقباض القلب - لم يفروا من القتال (24).

فإذا تأملنا شهادات الضباط التي يشهدون بها على أنفسهم في مذكرات أو رسائل أو تقارير، فإن احتلال المدينة لم يقل من عزم الزينيين، ولم يفت من عضدهم، بل زادهم إصرارا على مناوشة العدو ومكافحته بجسارتهم المعهودة (25). فهذه خيامهم السوداء، البعيدة بمسافة قليلة عن المدينة السليبية، لا زالت قائمة في سهل خنيفة، وهذه قبائلهم تواصل انتجاعها غير مكترثة ولا عابئة بوجود المحتل (26)، وهذه قطعانهم من المواشي والدواب والأغنام، تتوجه إلى مسارحها، والرعاة يستحثون الخطوات في أعقابها غير مباليين بالدخلاء. وعلى مدى البصر، على قمم جبال بوحياتي وأبي موسى وتاغاط والتلال المطلة على خنيفة، أخذ عشرات المئات من المقاومين مواقعهم لمراقبة وترصد حركات جيش العدو، منعاً لأي اتصال بينه وبين المراكز الأخرى (26).

ولمزيد من الوقوف عند هذه الوثائق، التي نجدتها في الغالب عبارة عن تصريحات رسمية لبعض القادة العسكريين الذين شاركوا في احتلال زيان، نختم بشهادة المسؤول الكبير وهو ليوطي، المقيم العام، وشهادة الجنرال هنريس المسؤول الكبير عن غزو القبائل الأطلسية. يعترف الأول، في تقرير حول الوضع العام للحماية أن

الإستيلاء على خنيفرة لم يمه "مسألة زيان" (27)، ويكتشف الثاني أن اختيار القوة يوم 12 يونيو 1914، لم يفض إلى النتائج المتوقعة، وبالتالي لم يسفر عن تفكيك المقاومة، حيث يقول:

إننا لم نستول إلا على بلدة خالية تماما من سكانها (28)

وبالفعل كان خروج هذا القائد العسكري يوم 15 يونيو في اتجاه أدخسان (جنوب خنيفرة) قد أضاع له السبيل، وأعطاه إلمامة عن وضعية زيان السياسية، خلص منها إلى أن خنيفرة - رغم مظهرها الضخم - لم تكن أبدا سوى مركز تجاري كبير، على مفترق الطرق المؤدية إلى مكناس وولماس وقصبة تادلة، ومحطة عبور المنتجعين بين الجبل والأزغار. ونظرا لأنها تقع في سهل قليل الإنتاج، فقد كانت مكانتها السياسية ثانوية. في حين إن المركز الحيوي لزيان يوجد جنوبا حول أودية شبوكة وسرو ولهري، في منطقة غنية بفلاحتها ومراعيها، وعلى اتصال مباشر مع قبائل اشقيرن وآيت إسحاق. وقد خطر ببال الجنرال هنريس أن يستولي على قرية أدخسان، ويؤسس مركزا عسكريا متقدما يطل منه على الجبال الزيانية، ويكون نقطة ارتكاز لوثبة جديدة في اتجاه أروكو، ولقبا، وزاوية آيت إسحاق. إلا أن الخسائر التي كبدته المقاومة (17 قتيلا و77 جريحا) كما سيأتي، جعلته يعود على عقبه (29).

كانت هزيمة خنيفة صدمة راضة، ولكنها شكلت في نفس الوقت، للمخيل الزباني، مهمازا حافزا على الصمود واليقظة. فقد سجلت لنا المصادر (30) أن اجتماعا لـ "قيادة المقاومة" انعقد غداة احتلال خنيفة لتقويم الوضع ومعرفة الآراء المختلفة وكان موحا وحمو قد ألقى خطابا، خصصه كله لهذا الموضوع، قال: إن الحرب لا تخيف زيان، فهي تجري في عروقهم كما يجري النسغ في الأشجار التي تنبت في أرض معطاء، وحتى عندما نقطعه أو نقتلعه و نترك في الأرض أصغر جذر، فإنه يخلف وينمو من جديد ثم استطرد يقول "إن ضياع المدينة أهون علينا إذا كان سيؤدي إلى إلحاق هزيمة بالعدو. فلو دافعنا عنها ولم نغادرها، فلن يتردد المستعمر في مواصلة قصفها حتى يهدمها، و الله وحده أعلم بما سيقع لسكانها، ثم كيف يمكن أن نتزود لو بقينا فيها ؟ أليس من الأفضل أن نحاصرهم خير من أن يحاصرونا ؟ أليس من الأحوط أن نترك المحتل يسقط في الفخ، بإيهامه أنه انتصر انتصارا كبيرا ؟ ما نبغي هذه خيامنا وقطعاننا وأسلحتنا، وكل مقوماتنا لا زالت في أيدينا (31).

ثم دعا زيان إلى ترك الضغائن الدموية، إذ بدون وئام يضمن التعايش السلمي، بل التعاون فيما بين القبائل، لن يصبح في الإمكان القيام بالمهمة التي تمت من أجلها مغادرة المدينة، ومن هذا

المنظور أعلن رسمياً أن الثأر مرفوع بين القبائل ولا ضغينة بعد اليوم، وأن واجب المجاهدين هو التحريض على مواصلة القتال والتصدي لقوات الاحتلال والاستعمار. وقد انفض الجمع على السمع والطاعة وهتف الحاضرون:

نحن وراءك في أقوالك وأفعالك (32).

ومنذ ذلك المؤتمر، شرع القائد في إعادة تنظيم المقاومة، وفق استراتيجية جديدة تهدف إلى وضع المدينة السليبية تحت الحصار. ومن أجل ذلك، وبعد التعرف على قدرات العدو وعلى خططه وتحركاته، التجأ اضطراراً إلى الجبال المجاورة لترتيب أمور الجهاد في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية، أملاً في إحراز انتصار على الغزاة.

في الميدان السياسي : كانت الوحدة بين القبائل إحدى آليات الجهاد، فقد أدرك موحداً وحمواً أن الاستعداد النفسي والاجتماعي أساس من أسس الإعداد لمحاربة الدخلاء. ولذلك عمل على بناء الجبهة الداخلية، وتهيئ أبناء زيان على اختلاف مشاربهم السياسية والاجتماعية لمهمة الجهاد التي أصبحت - بعد تعرض المغرب لاحتلال فرنسا - مهمة أساسية تذوب أمامها كل العقبات، وكل الخلافات (33).

وكانت هذه الوحدة متينة بفضل العقيدة الإسلامية التي جعلت من الزينيين شعبا متحدا ومتكتلا، إذ لا يمكن لمجتمع إسلامي أن يكون استعداده تاما وكاملا إلا إذا كانت وحدته الوطنية بين أفرادها قائمة على أساس العقيدة، فالإسلام هو الذي أجج في نفوس الزينيين شعلة الجهاد بسبب وجود المسيحي على أرضهم. ورغم ما أصيبوا به من جراح مثخنة، ورغم تعبهم وإنهاكهم، فقد عادوا إلى ساحة القتال في اليوم الثاني من الاحتلال، يضعون نصب أعينهم الشهادة في سبيل الله، وهذا ما أدى إلى نسيان الفشل في المعركة والحزن على فقدان المدينة (34).

هناك إذن عتبة مرور ونقطة تحول من حالة التنافر والتناحر إلى حالة الوعي بقيادة معتزة بدينها لطرد عدو الدين الذي هو أيضا عدو الحرية، فلا فصل عند هذه المقاومة بين حرية الدين وبين الحوزة الجغرافية التي نبت فيها الدين

وفي الميدان الزراعي كانت القضية الأولى التي لا بد أن تواجه موحا وحمو هي التفكير في حل مشكلة الغذاء للزانيين الذين حيل بينهم وبين الأزغار مخزن الحبوب" وخاصة القمح و الشعير والقطاني، وهي الزروع التي كان يعتمد عليها السكان في تغذيتهم (35). وقد أظهر اهتمامه بهذه القضية منذ البداية، حيث وجه دعوة واضحة إلى التضامن والتكافل بين جميع القبائل، ولكي

يترجم هذه الدعوة إلى واقع اجتماعي ملموس، قام بتوزيع الأراضي الجبلية، واقتطع لكل قبيلة فقدت أراضيها الأزغارية مساحة من الأراضي الزراعية الموجودة في المثلث الواقع بين لهري-سرو- وأم الربيع، وبين سفح الجبل الزياتي بشكل ينسجم مع مقتضيات التغيرات التي طرأت على الساحة الزياتية (36). وكانت هذه الأراضي تنتج أساسا القمح و الشعير و الذرة مع زيادة في نسبة الشعير التي تحتل المرتبة الأولى بين المزروعات الأخرى ، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن زيان كانوا مولعين بتربية الخيول التي تعتبر عنصرا أساسيا في مقدرتهم العسكرية (37).

علاوة على ذلك كان مصدر القوة للمقاتلين يأتي من النشاط الرعوي، فالإطار الجغرافي الذي نزلت إليه القبائل يقع في وضعية ممتازة من حيث وفرة المياه المتدفقة، ومياه نهر أم الربيع وروافده، الشيء الذي يضمن لقطعانها الكثيرة المراعي الجيدة والدائمة، صيفا وشتاء (38).

في الميدان التجاري: ذكرت المصادر الفرنسية (39) أن زعيم المقاومة دعا تجار خنيفرة إلى إفراغ حوانيتهم وحزم أمتعتهم واقتفاء أثر القبائل الزاحفة نحو الجبل. و أوكل إليهم مهمة ربط علاقات تجارية مع مدينة الدار البيضاء عبر تادلة، ومع فاس ومكناس عبر الأطلس المتوسط. وقد بقيت علاقة الزياتيين بهاته

المدن علاقة عضوية إذ لم يعد بإمكانهم الاستغناء عن مشترياتهم منها، فظلوا يجلبون مواد مصنوعة أو بضائع أوروبية كملايس القطن و السكر و الشاي و العطور و الحلي وذلك ما يثبته M.LE GLAY بقوله:

لقد لاحظنا خلال السنين التي تلت احتلال خنيفرة أن الأسواق الزيانية داخل الجبال ، نادرا ما كانت ما تنقصها السلع مثل السكر و الأقمشة القطنية (40).

ولم يتساهل القائد مع أولئك التجار الذين جعلوا من الربح شغلهم الشاغل ، وأثروا التجارة على الجهاد واستعانوا بالأعداء في سبيل تحقيق اهتماماتهم الميركانتيلية ونشير هنا أنه سبق للبرجوازية التجارية المغربية أن عبرت عن هذا الموقف بعد فشل التجربة العزيزية حيث كانت تجسد فكرة استحالة إنجاز سياسة إصلاحية دون الخضوع لوصاية أجنبية أو حماية دولة من الدول الأوروبية القوية ، وتعتقد أن التدخل المجر للأجنبي هو الكفيل بالنهوض بالبلاد و الخروج من النفق(41). وما تجار خنيفرة إلا جزء من هذه البورجوازية التي كانت ترى أن المقاومة لا طائل من ورائها، وأن تدخل النصارى في المغرب، إنما هو أداة الإصلاحات ومفتاح التحديث (42)

استفز هذا الموقف مشاعر المقاومين ، ورأوا في هؤلاء التجار الخونة خنجرا في صدر الإسلام و المغرب لا يقل خطرا عن الغزاة. ولذلك، أمر القائد بإعدامهم عندما علم أنهم دخلوا في مفاوضات مع المحتل الذي حاول إغراءهم بالعودة إلى دكاكينهم في المدينة (43).

وهكذا انتقل النشاط التجاري إلى وسط الجبال في مراكز مثل جن ألماس وبومزيل ، وأفلكتور إلخ. وازدهرت التجارة حيث استمر الزيانيون في تسويق منتجاتهم الحيوانية والزراعية و الحرفية، وفي التزود بما يحتاجون إليه من البضائع المغربية والأوروبية.

في الميدان الفكري : يجب أن نسجل أن الفقهاء باعتبارهم رموز الأمة في المحافظة على قيمها وتوجهها الحضاري، وضمان انتقال التراث من جيل إلى جيل سليما من كل شائب، كانوا يمثلون المقاومة حضاريا وريادة.

وانطلاقا من هذا الدور الخطير قاموا، منذ وصول المستعمر إلى شواطئ المغرب، بتعبئة المغاربة، واستنفارهم إلى ساحة العراك، وأوجبوا عليهم أن يتوحدوا تحت لواء الجهاد بكل صدق وإرادة وتضحية، وأن يسهموا في المجهود الحربي كل حسب

طاقته، ومن لم يستطع حمل السلاح فعليه أن يجاهد بماله أو بما يملك من أسباب الدعم (44).

وبإيعاز من هذا الوازع الديني هرع الناس من مدا شرهم ودوا ويرهم في آثار لايزال بعضها يفيض إلى الآن عاطفة وحماسة في أفواه المسنين، رغبة في الالتحاق بالمقاومة، ولو ذهبنا نستقري شواهد التاريخ لما استطعنا أن نحصر في بحث محدود المجال الأمثلة الحية على استجابة المغاربة لنداء فقهاءهم

وحسبنا أن نذكر في هذا السياق محمد بن عبد الكبير الكتاني من فاس الذي جاهر بالجهاد، وترأس اجتماعا ضم زعماء القبائل الأطلسية (45)، في مكناس سنة 1908، وكذلك صاحب نصيحة أهل الإسلام (46) الذي قام بفضح مؤامرة الاستعمار، واستنهاض همم المغاربة للدفاع عن كرامتهم، والمجاهد الكبير الفقيه مولاي أحمد السبعي (47) الذي تميز بشجاعة نادرة في معركة بونزيب (1908)، و الذي كان يطوف الأطلس صارخا في وجه القبائل وداعيا إياها أن تشد حيازما للقتال، ومحرضا لها في خطبه ومواعظه (48). ومن زيان نذكر الفقيه محمد واعزيز شيخ زاوية سيدي عمر، والعلامة أحمد الومكاتي من قرية تونفيت (49)

غير أن الذي كان له صدى كبير وتأثير عميق في نفوس القبائل الأطلسية هو سيدي علي امهاوش الذي كان يتمتع بنفوذ منقطع النظير، امتد من الجبال إلى تخوم تافيلالت (50). حيث كان يحذر الناس، منذ أن اقتطعت فرنسا أجزاء من المغرب، مما كان الاستعمار يسعى إليه من تنصير لهم، وصرفهم عن تحكيم شريعة الإسلام. وقد وصفه الماركي دي سكونزاك le marquis de Segonzac بأنه:

كان منذ وفاة سيدي العربي الدرقاوي أقوى شخصية دينية في الجنوب الشرقي (51).

كان سيدي علي هذا يخاطب الناس بواسطة تلاميذه ومريديه الكثيرين الذين كانوا يجوبون الأسواق و القرى مرددين تعاليم شيخهم، ومن أمثلة ذلك هذه الرسالة

أيها المجاهدون، يقول لكم سيدي علي : يا شجعان، اصنعوا البارود و الرصاص، وحاربوا الفرنسيين الذين يريدون استعبادكم (52).

وإذا كان هذا النص ليس بحاجة إلى تفسير لوضوحه فيما يعكسه من استعداد لمواجهة الغزو، فإن هناك نصا آخر ورد فيه أن استرداد الحق ومقاومة الاحتلال في جميع صورته وأبعاده لا يتأتى إلا بالتشبث بالذات في بعدها الروحي الإسلامي

إخواني المسلمون ، السلام عليكم ، جئت لأحمل إليكم كلام الله الذي يريد منكم أن تحاربوا من أجل دينكم وبلادكم (53). وهكذا برز سيدي علي أمهاوش في طليعة المنافحين عن الديار التي استولى عليها المستعمر. وكانت منافحته بالسيف عندما ساند المقاومة الزيانية بمجموعة من متطوعي قبائل اشقيرن غداة احتلال خنيفرة (54). ثم جاء بعد ذلك شخصيا (غشت 1914) على رأس فرسان قبائله، فخيم على وادي سرو (الحدود الطبيعية بين اتحاديتي زيان واشقيرن) لشن غارات على مركز خنيفرة، ومهاجمة قوافل التموين الغادية والجائية بين هذا المركز وبين مركز تادلة (55).

2- فشل استقطاب القائد موحا وحمو لمشروع الحماية .

إن الحملة التي قام بها علماء الأطلس أيقظت القبائل وأزالت الحجب عن أعينها، فأجبت فضائلها الروحية وعبأت كفاءاتها البدنية، وحركت العزائم نحو القتال. كما قامت بوضع المقاومة على أسس المرجعية الحضارية الإسلامية، حيث تشبع المقاومون بفكرة الجهاد وفي مقدمتهم القائد موحا وحمو الذي حاولت فرنسا استقطابه لينضم إلى مشروع الحماية، كما حدث مع كبار قواد الجنوب ونعني به أسلوب الغزو السلمي الذي أورده ليوطي في

خطته عند احتلال الأطلس المتوسط. وقد حكمت هذا الأسلوب عوامل ثلاثة جوهرية هي

1- إن إيماريغن لهم قابلية الاستعمار، ولا ينتظرون إلا وصول الفيالق الفرنسية إلى بلادهم للارتقاء في أحضانها.
2 - إن فرنسا لا تريد المجازفة بأبنائها ضد مقاومة متحصنة في الجبال.

3 - إن فرنسا تمكنت من احتلال الجنوب (حوز مراکش، سوس...) بواسطة القواد الكبار (الأكلوي، المتوغي، الكوندافي...)، الذين قاموا بإخضاع قبائلهم لصالح الحماية دون مشاركة الجنود الفرنسيين. وفي المقابل، منحت لهم حرية التصرف اتجاه قبائلهم الشيء الذي زاد ثراءهم ووزنهم. كتب ليوطي يقول
لن أتردد في إعطاء الأفضلية لحكم القائد الكبير، لأن هذا الأسلوب ينسجم مع نظام الحماية، فهو يتصف بالمرونة وغير مكلف، ويتطلب موظفين أقل، ويحافظ أكثر على احترام التقاليد القديمة (56).

لقد رفض ليوطي منذ بداية عهد الحماية تحديد سلطات القواد الكبار لأنه كان يعتقد أن نجاح فرنسا في الجنوب، إنما كان يرتبط بهؤلاء القواد الذين لم يكونوا مجرد أشخاص عاديين يشتغلون لحساب قوات أجنبية، بل كانت لهم شهرة ومكانة سامية في

مناطقهم الخاصة. ألم يتآمروا مع الكولونيل Lamotte سنة 1913، على تفكيك حركة الشيخ أحمد الهيبة، وجهزوا حملة عسكرية مكونة خصيصا من الأهالي للقضاء على هذه الحركة ؟ وبناء على ذلك، لماذا لا يحاول ليوطي خلق قيادات كبرى أخرى في الأطلس المتوسط؟ (57).

بعد نجاح سياسة القيادات الكبرى (les grands commandements) في الجنوب مع الأثلاوي و المتوگي والكوندافي وعمر السكتاني حاول ليوطي استمالة موحا وحمو بصفتهم من كبار قواد المخزن، واستغلال نفوذه لصالح الحماية، ليصنع منه كلاويا آخر في منطقة المغرب الأوسط (58)، وذلك بهدف الوصول إلى نتيجة مزدوجة إخضاع زيان بدون حرب، وإطفاء شعلة الجهاد بأسرع ما يستطيع حتى لا تمتد شرارتها إلى مناطق أخرى (59).

لم يكن ليوطي ليشك في أن الزعيم الزياني سوف يحذو حذو أعيان الجنوب وينضم إلى مشروع الحماية. ومما زاد من يقينه هو اندحار جيش أحمد الهيبة أمام القوات الفرنسية في سيدي بوعثمان (60)، ودوي المعركة التي كانت لها آثار سلبية على المقاومة الوطنية من الجنوب إلى الشمال (61).

لقد ظن ليوطي أن صدى هزيمة سيدي بوعثمان سيثني موحا وحمو عن المواجهة المسلحة ضد الجيش الفرنسي، ويدفعه إلى ربط الاتصال به.

الحق يقال، إن محاولة استقطاب القائد الزياني بدأت مع الجنرال Moinier (62) قبل توقيع معاهدة الحماية، عندما لاحظ قتالية المجاهدين الزيانيين في المعارك التي دارت رحاها على أبواب مكناس (63)، وعلى خط المواصلات بين مكناس والرباط سنة 1911، وفي شمال تادلة في معركة وارغوس سنة 1913، ضد قوات الكولونيل Mangin (64).

كان الجنرال Moinier إذاً أول من اتصل بالقائد، وباعت محاولته للتفاهم بالفشل، إلا أن ليوطي لم يفقد الأمل نظراً للمأزق الذي كان يوجد فيه، فمن جهة مازال المغرب في حالة غليان ضد المستعمر، ومن جهة أخرى هناك بؤابر التوتر في أوروبا والتي لم تعد تسمح للحكومة الفرنسية بإرسال إمدادات عسكرية لإطفاء نار المقاومة في مختلف أنحاء المغرب.

ووفاء لخطة التفكير المستمر (65) العزيزة على قلبه، حاول التأثير على موحا وحمو من جديد، باللجوء هذه المرة، إلى المخزن باعتباره السلطة الشرعية، ومعه تمت معاهدة الحماية. وقد أراد أن يجعل من السلطان، بصفته أمير المؤمنين، الأداة المسخرة لسياسته



معالم قصبة موحى أوحمو التي بناها قبل تعيينه قائدا على زيان



الماكيا فيلية، فكان يخرجهم إلى المحلات والعساكر المغربية التي كانت تحارب المقاومين تحت إشراف الضباط الفرنسيين، ويظهره للقبائل من بعيد، ليوهمها أنه (أي السلطان) جاء ليؤيد عمل الحماية. فيما يتعلق بزيان أو عز ليوطي إليه بأن يبعث برسالة إلى القواد وباشاوات المدن، يعلن فيها خبر احتلال خنيفرة. ونقتطف من الرسالة هذه الفقرة

... ثم صادفت الوجهة إلى خنيفرة التي كان يظن أن إدراكها أعز من بيض النوق، وطالما حاول أهلها مقابلة الحق بالباطل ، ففعل بهم مثل ما فعل بأشياعهم ... ومعلوم أنهم هم الذين فتحوا على أنفسهم أبواب النكال لأفرادهم عن الجماعة وملازمتهم للبغي و الضلال ، وأعلمناكم لتأخذوا حظكم من الفرح بجمع كلمة المسلمين على الصلاح... " (66).

والحقيقة أن ليوطي كان وراء تنظيم حملات إعلامية لتشويه الجهاد الزياني ومحاربته بدعوى خروجه على المخزن وشق عصا طاعة السلطان. وقد نسي أو تناسى أن جهاد زيان لم يكن بدعا ولا نشازا، وإنما كان حلقة في سلسلة الجهاد المغربي منذ أن وطئ النصارى أرض المغرب في الشاوية و وجدة.

كما التجأ ليوطي إلى وساطة بعض الشخصيات المرموقة من النخبة الحاكمة و العالمة. وهكذا قام بجس نبض القائد الزياني

بواسطة الوزير إدريس البوكيلي (67)، ثم بواسطة باشا مدينة أبي الجعد، الحاج إدريس الشرقاوي (68) الذي كانت تربطه علاقة صداقة مع الأسرة الامحرانية (69). فلا يخفى، حسب بعض المصادر، أن الذي أضاع السبيل أمام السلطان مولاي الحسن في اختيار موحا وحمو قائدا على زيان، هو شيخ زاوية أبي الجعد الحاج بن داود (70).

ولما أخفق في ذلك، ولم يوقع الزعيم الزياني في فخ الحماية كما أوقع الأكلوي وأضرابه، حاول ليوطي زرع بذور الشقاق بينه وبين سيدي علي امهاوش، وإشعال الحرب بينهما بإحياء النزاعات و العصبية القديمة، وإثارة النعرات و الخلافات حول من يتزعم منهما قبائل الأطلس (71).

وقد عزا ليوطي هذا الإخفاق إلى الجهل المطبق لأعضاء المخزن الذين كانوا لا يعرفون أي شيء تقريبا عن أعيان الأطلس، وعن تنظيمات القبائل وانشقاقاتها (72).

و الحقيقة أن المقيم العام كان عاجزا عن فهم روح الجهاد التي تشبع بها موحا وحمو من العلماء الذين كانوا يترددون على عاصمته من حين لآخر، أمثال الشيخ أحمد الهيبة بن ماء العينين الذي زاره في خنيفرة سنة 1907، وهو في طريقه إلى فاس (73)، حين كانت المدرعة الفرنسية (غاليية) تمطر الدار البيضاء قنابل

من الميناء، والعلامة عبد الرحمان الننتيفي الذي شارك في مقاومة الشاوية وانتهى به الأمر إلى الاستقرار بزيان ليصبح مرجعا في الاستفتاء حول الجهاد (74). أضف إلى ذلك تأثير فقهاء الأطلس الذين عقدوا أملهم في زعامة القائد الزياني لاستنهاض القبائل ضد الاحتلال.

إن هذه الروح التي أملتها ضرورة الدفاع عن الدين والنفس والوطن والكرامة الإنسانية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، (البقرة / 190) هي التي حركت موحا وحمو، ومن على شاكلته، دون أن يكون لديه أي مطمع في سلطان أو إمارة، كما كان يدور في خلد المقيم العام، سوى تحرير البلاد من ربقة الحكم النصراني الغاشم.

وعندما ينس ليوطي من استمالة القائد، تدخل الجنرال هنريس الذي نادى - منذ وصول فيالقه إلى الجبال - بنهج سياسة بربرية تفصل بين سكان هذه الجبال وبين الحضارة العربية الإسلامية، والعودة بهم إلى مرحلة ما قبل الإسلام (75).

لقد بعث هنريس بوفد أمازيغي من أعيان بني مطير في بداية سنة 1914م، يترأسه القائد إدريسي أورحو (76) الذي كان يحظى بتقدير كبير في وسط القبائل الأطلسية وناحية مكناس، آملا

أن يجد، لدى الزياني آذانا صاغية، و حول هذا الموضوع كتب
أحمد المنصوري يقول

جاء هذا القائد في وفد عظيم ، في هز وبز ، بخيول
مطهمة، في السروج المزركشة، يصحب هدايا نفيسة
وثمينة ، فتذلف وتملق في الحبل و الغارب ، ولكنه لم
يفلح (77).

وكان جواب موحا وحمو

لن أرى مسيحا إلا من خلال فوهة
بندقيتي، و إصبعي على زناد الرمي (78).
وهكذا رده على أعقابه خائبا وهو حسير. فأخذ هداياه
وانسحب راجعا مع الوفد، لينضم إلى المتأمرين والمتواطئين مع
الاستعمار، الذين سعوا في تخريب الذمم وتثبيط الهمم. واستطاع
موحا وحمو أن يتجاوز هذه النزعة السلبية، وكأنه استحضر حديث
الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه

فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا
عليكم كما بسطت على الذين من قبلكم ففتنا فسوها كما
تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم (79).

أمام صلابة موقف زعيم المقاومة وإصراره على مواصلة
الجهاد، عمد الجنرال هنريس إلى زرع بذور الشقاق بين قبائل

زيان لتمزيق وحدتها وتفكيك مقاومتها و القضاء عليها. فقد ظهر له المجتمع الزياني في صورة هرم (80)، قمته قبيلة آيت حركات (قبيلة موحا وحمو) أو ما يسميه ب النبلاء الفيوداليين وقاعدته القبائل الأخرى، أو ما يسميه ب "كتلة العبيد" (la masse servile)، إذالم لا يحاول إثارة "العبيد" ضد النبلاء "لكسر شموخ القائد المعجب برأيه، وتركيعه مثل باقي كبار القواد، أمام أعتاب الحماية؟ وفد هذا الجنرال إلى بلاد زيان محملاً بموروثه الثقافي الذي كان يستحضر من خلاله صورة زيان (81). ففي المذكرة (82) التي كتبها غداة احتلال خنيفرة، نلاحظ أن زيان لا تمثل في وعيه إلا صورة البلد الموزع على أساس قسمة ثنائية أسياد/عبيد. وعلى هدي هذه الرؤية، تم النظر إلى قبيلة آيت حركات باعتبارها القبيلة التي تحظى بالنفوذ الواسع و السيادة المطلقة، على مجموع زيان، وهو ما يثبته أحد الضباط الفرنسيين بقوله:

كانت قبيلة آيت حركات ذات مكانة كبيرة في بلاد زيان، فهي قبيلة موحا وحمو، وهي كذلك قبيلة الأعيان والنبلاء التي تعطي المحاربين الكبار، والتي تملك أجود الفرسان وأكثر القطعان، وكل من لا يعترف برخائها ولا يعترف بنفوذها، فقد يعرض نفسه للانتقام (83).

وفي المقابل تم النظر إلى القبائل الأخرى على أساس أنها تعيش في حمايتها، وما يربط بينهما هو علاقة أسياد/ عبيد، ومن خطل القول التفكير في أن هناك شعورا "وطنيا" أو "دينيا"، يوحد بين القبائل الزيرية. ومن ثم فالقول بأن المقاومة موحدة تحت زعامة موحا وحمو وهم محض.

ومما زاد من اطمئنان الجنرال إلى هذا الوهم الذي توهمه وعاش عليه، هو مجيء بعض الدواوير من الزيرانيين إلى المركز يطلبون الأمان (84). وكذلك تردد بعض المرضى على مستوصف خنيفرة قصد العلاج (85).

ومن ثم، استنتج هنريس أن عامة الناس، أو ما يسميه ب (la masse servile)، تواقية للإنعتاق من قبضة قائدها، وأنها ترغب أن تحررها فرنسا من حاكمها الظالم الطاغي، ومن نير نبلاء أيت حركات. وهكذا حاول أن يثير من يعتبرهم جماهير العبيد ضد الامحرانيين النبلاء بتكرار ثورة الرابع عشر (86) من يوليو في بلاد زيان- التي اندلعت في باريس سنة 1789.

وطبيعي، فإن ما كان يهدف إليه هنريس أمر آخر غير تقرير الحقيقة و إنصاف المستضعفين، إذ كان هدفه الأول هو تضخيم الفوارق الاجتماعية بين ما كان يسميهم العبيد وبين "النبلاء

المريعين والمقيتين والاستبداديين المثيرين للعصيان (87) من أجل إيجاد ثغرة ينفذ منها لكسر شوكة المقاومة.

ولما لم يفلح في تمزيق وحدة القبيلة عاد إلى مخزونه الثقافي وأخرج ازدواجية أخرى وهي العربي / البربري، في إشارة خفية لإقصاء الأمازيغ من دائرة الإسلام و العروبة، تمهيدا لتفكيك المنظومة الإسلامية.

لقد خبرت فرنسا روح الجهاد عند المغاربة وعانت منها الكثير، لما كبدها من خسائر فادحة في الأرواح في مناطق كثيرة مثل الصحراء مع الشيخ ماء العينين، ومراكش مع أحمد الهيبة، وفاس مع محمد الحجامي، والشاوية مع الشيخ البوعزاوي والأحمر منصور ..الخ. وقد وجدت في المقاومة الصخرة التي لا تلين حيث تماسك وتكاثف المجاهدين لمواجهة الغزو بروح يغمرها الحماس الديني ومن ثم ففرنسا تعرف أن الإسلام - حتى وإن أحكمت قبضتها على البلاد و العباد - يهددها دوما في وجودها، وأنه سوف ينبعث من جديد ليكون قوة رهيبة تحول بينها وبين الثروات التي استحوذت عليها، وبينها وبين الشعب الذي استعبده. لذلك، نهجت سياسة تهدف إلى حمل المغاربة على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء من داخل الفكر الوافد

و بعد استكشاف مكونات المجتمع المغربي والإطلاع على تبايناته المختلفة، اعتبرت فرنسا أن سلخ الأمة المغربية عن حضارتها الإسلامية يواتيها في الأمازيغ أكثر مما يواتيها في العرب نظرا لأمر كثيرة منها

- 1 - أن أصول إيمازيغن من أوربا (88) وليس من شبه الجزيرة العربية فهم من أصول سلتية وجرمانية ورومانية (89).
- 2 - أن إسلامهم سطحي (90) وأنهم لا يلتزمون بالكتاب والسنة (91) وفيما يتعلق بالزيانيين يؤكد V.Piquet، أنهم لا يصلون ولا يتوجهون إلى المساجد إلا نادرا (92).
- 3 - أن عاداتهم وتقاليدهم مستمدة من الثقافة الفرنسية وخاصة فيما يتعلق بتعاملهم مع المرأة.
- 4 - أن علاقاتهم مع السلطة المركزية تتميز بالقطيعة، فلا وجود لأي رابطة حقيقية ومتينة بينهم وبين المخزن (93). فالأمازيغي شديد التمسك باستقلاله لأنه لا يرى في المخزن إلا التسلط و القهر و الفساد، ولاهم له إلا جمع الأموال لدفع رواتب الجند لقمع القبائل وإنهاكها بالجبايات دون أن يصرف دنانق واحدا من أجل المصلحة العامة (94).

يتضح من هذه التتظيرات أن الإنسان الامازيغي أقرب الناس إلى استيعاب الحضارة الغربية، ومن ثَمَّ ، وجب دفعه في

هذا الاتجاه بتلقيه مبادئ الثقافة الفرنسية تمهيدا لإدماجه في الحضارة اللاتينية

وقد تزامنت هذه الحملة، حملة التنصير مع الحملة العسكرية، ففي الوقت الذي كان فيه الجنرال هنريس يقتحم المجال الأمازيغي، كان الرهبان والقسيسون يلقون المحاضرات، ويعقدون الندوات في مدينة مكناس، ويبعثون بالمنشورات إلى قبائل الأطلس (95) تدعوها إلى اعتناق المسيحية. وحول هذا الموضوع يقول صاحب كباء العنبر

أعقل أني سافرت بعد احتلال فاس ومكناس لعاصمة مكناس سنة 1331هـ لبيع الدار التي بقيت لنا بها لقطع العلائق بين الزيانيين المجاهدين و المحتلين ... فوجدت بعض المبشرين الأمريكيين قد فتحوا محلا يلقون بعض تباشيرهم فيها ويوزعون مناشير التبشير (96)

ويضيف نفس المصدر، في موضع آخر أنه احتفظ بعينة من هذه المنشورات إلى حين عودته، في نفس السنة، إلى خنيفرة ليسلمها لشيخه علامة زيان آنذاك الحاج عبد الرحمان النتيفي الذي أخذ على التو بتحسيس الرأي العام الزياني على أن الحرب التي تشنها فرنسا على المغرب، إنما هي حرب صليبية جديدة (97).

وهكذا تضافرت جهود العسكر و الكنيسة لهدم عقيدة الإسلام وتذويب الذات الأمازيغية، وطمس معالمها، وفرض ثقافة المستعمر ومفاهيمه بحجة أن هؤلاء الأمازيغ يجهلون اللغة العربية ويتشبثون بلهجتهم ويهملون الشعائر الدينية

وقد غلفت إدارة الحماية هذه الحركة التنصيرية بأعمال خيرية وإحسانية كمعالجة المرضى وتعليم الصبيان ومساعدة الفقراء. ففي ميدان الطب تمثيلا لا حصرا، تم إنشاء مستوصف بمدينة خنيفرة (98)، ليشكل نقطة التقاء بين المرضى والمنصرين، وأصبح - منذ الأشهر الأولى من الإحتلال - مجالا لتلبية أهداف استعمارية مختلفة التقاط المعلومات عن المقاومة، وبث السموم ذات اليمين وذات الشمال لتلغيم القبيلة، يقول ليوطي إن طبيبا يعادل كتيبة كاملة (99).

ويضيف لوشاتولي

"حيث تجد بشرا تجد الأما، وحيث تكون الآلام

تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة

إلى الطبيب، فهناك مناسبة للتبشير (100).

بدأ المرضى يتوافدون على المستوصف ويعالجون بالمجان

ودون أن يطلب منهم الإدلاء بأسمائهم أو سبب جروحهم" (101).

وبعد المعالجة يوجه المريض إلى مكتب الاستخبارات المجاور للمستوصف ، ويقدم له الشاي و الحلوى ثم يبدأ الحوار (102).
وغني عن البيان أن الفرنسيين كانوا، في هذه الحوارات يحاولون أن يظهروا للزيانيين في ثوب جديد وجذاب ، يتنافى مع العنف الذي مارسوه ضدهم، و الحرب الشرسة التي واجهوهم بها. فيوهمونهم بأنهم جاءوا لتخليصهم من الفقر والمرض والجهل، ومن استبداد قائدهم وعشيرته، وهي أساليب يستعملها الاستعمار ضد الشعوب المستعمرة من أجل تحطيمها، وغزو عقولها بأفكاره وتجريدها من أفكارها وشخصيتها الحضارية (103).

كان هدف إدارة الحماية، أساسا من هذه السياسة هو سحب البساط من تحت قدمي موحا وحمو، ولكن هل تم التقرب من التجمعات الزيانية، وهل تحولت القبائل، أو بعضها على الأقل، إلى جانب سياسة التهدة ضد المقاومين ؟

استنادا إلى مادة وثائقية فرنسية (104) ومغربية (105) نجيب بالنفي، ونقول إن الجنرال هنريس - رأس هذه السياسة - أخطأ الحساب كما أخطأه من هم على شاكلته بعده وقبله. فقد أدرك الزيانيون الخطر، فأبوا إلا الاستمساك بقيمهم وعقيدتهم و الذود عنها حتى آخر رمق. وأما قائدهم، فإن ذلك لم يفل من عزمه ولم يفت من عضده، بل زاده إصرارا على مواصلة المقاومة، إلى أن

سقطت أسطورة التدخل السلمي واعترف المحتل بالحقيقة التي حاول إخفاءها، وهي خوض الحرب الحقيقية ضد المقاومة التي بادرت بمحاصرة المدينة السليبية

3- خنيفة تتحول إلى بريزيديو Présidio.

اعتمد موحا حمو، في حصاره لخنيفة، على فلسفة جديدة تختلف عما اعتمده من قبل. فقد وعى منذ المعارك الأولى جوانب القوة لدى الجيش الفرنسي من حيث التنظيم والتدريب، وبما يتوفر عليه من عتاد حربي كبير وعصري، وبالتالي لا يمكن لمقاومة متكونة من مجرد فلاحين لم يتخرجوا من مدارس عسكرية، أن تواجهه في معارك مألوفة وكلاسيكية (106). لذلك لجأ القائد إلى المعارك الصغيرة، وفتح عدة جبهات مع العدو لتشتيت جهوده، فانطلقت الغارات على مركز خنيفة وعلى قوافل التموين من خلال ما سيعرف، فيما بعد بحرب العصابات، التي كانت تعتمد على مجموعات صغيرة من المجاهدين، تضرب بقوة وبسرعة ثم تعود إلى مخابئها غانمة منتصرة، ولنتأمل قول أحدهم، وهو يشير إلى الإستراتيجية العسكرية عند المقاومة، يقول

لقد تخطى موحا حمو عن العمليات العسكرية الكبيرة،
واكتفى بإنهاك طوابيرنا، وتهديد قوافلنا ، و الهجوم
على مؤخرة جيوشنا ، فكانت هذه الحرب ، حرب

العصابات المتوالية ، تكلفنا كثيرا من الخسائر (107).

ويضيف آخر

كانت تلك الفترة فترة الكمان، فترة مرعبة ومفزعة،

يوم كنا نجد الحراس وقد ذبحوا باكرا من قبل أشباح،

كانوا يتسللون في أواخر الليل إلى الثكنة في الوقت

الذي يثقل فيه النوم الأجفان (108)

وفي موضع آخر يقول

إن العصا بات التي كان موحا وحمو يبعث بها، كانت تنازلنا،

والساق على الساق، فيفضل أفرادها أن يموتوا، على أن

يسلموا شبرا من الأرض. ورغم يقظتنا القصوى، فكثيرا ما

يحدث أن يسقط حراسنا ليلا مطعونين طعنات مهلكة بالخناجر

من قبل أشخاص متسللين بصمت، وذوي شجاعة لا يصدقها

العقل (109).

ولكن هؤلاء الذين كانوا يدافعون عن دينهم ووطنهم ببطولة

خارقة، كان كتاب الاستعمار ومؤرخوه ومفكروه وساسته يصفونهم

بالغوغاء وينعتونهم، نهّابا وقطاع الطرق، يقول أحدهم

كانت قواتنا دائما وأبدا في ظروفها الصعبة، تعرقها عصابات

النهاب الجريئين الذين يستغلون طبيعة الأرض، بشكل يثير

الإعجاب، كامنين في المنخفضات ليبرزوا فجأة، على أفراسهم

الراكضة بعد ذلك ، وسيوفهم إلى السماء واللغات تنصب من أفواههم علينا (110).

وما هذه النعوت التي يندى لها الجبين من الخسة والنذالة والألفاظ البذيئة التي درجوا على استعمالها إلا لتشويه كفاح المجاهدين وإخفاء كل ما يمس بالمجد و البطولات. ومن المؤسف جدا أن المؤرخين المعاصرين لم يهتموا اهتماما يذكر بهذه المقاومة الفذة التي ظلت، وجها لوجه، مع العدو مدة خمسة عشر عاما. وحتى لما انقشعت سحوب الحماية وجاء الاستقلال، لم يقم أولوا الأمر بتعريف وقائع هذه الحرب الضروس ولم ترفع نصب تذكارية في الأماكن التي خاضت فيها المقاومة معارك ضارية كالهري، وتقا إيشيعان، والبقريث، وألمسيد، وخلفون... إلخ تحفظ، باعتزاز، مآثر الجهاد الوطني، وتتربى على ذكرياتها الأجيال الصاعدة. كما لم يكلفوا أنفسهم عناء لإزالة التماثيل الاستعمارية كتلك التي لا زالت إلى يوم الناس هذا بين خنيفرة وقرية الهري

انطلق موحا وحمو في جهاده لا يكل ولا يمل مستهدفا غرضه الوحيد ، وهو تحرير البلاد، يحذوه شعور الجندي المجاهد الحكيم الذي لا يعبأ بتشريد ولا يلين لتهديد ، ولا يغتر بزخاريف الدنيا وحطامها، التي وضعتها سلطات الحماية بين يديه ، ولا يركن

إلى راحة بال. كتب J.Le Prévost

يقول

كان آلاف من المحاربين يسهرون الليالي فوق التلال المظلة على خنيفرة، لقطع أي اتصال بين المدينة و الخارج ، لقد أصبح الأروام سجناء لغزوهم، وهذا ما كان يرمي إليه الزياني (111). لا يتسع المجال هنا للحديث عن جميع المعارك التي خاضتها المقاومة ما بين احتلال خنيفرة وحادثة لهري وحسبنا الوقوف القصير عند بعض المعارك التي أربكت العدو، وأثرت على جنوده تأثيرا نفسيا ،الشيء الذي اضطر قائدهم الكولونيل Laverdure إلى تجاوز أوامر المقيم العام ، وضربها عرض الحائط ، والإقدام على مغامرة لهري لفك الحصار على حاميته.

وهكذا ، ومنذ اليوم الثاني فقط من الاحتلال ، و رغم الجراح المثخنة ، انطلقت المقاومة في مناوشة العدو ، وتنصيب الكمائن ومهاجمة قوافل التموين.

قتال يوم الجمعة 13 يونيو 1914.

في هذا اليوم، تناقلت المصادر خبر هجوم عنيف تزعمه بعض أولاد القائد وأبناء أخيه : موحا وعقى، ومعمي ولد الحاج (112). فقد حملوا حملة رجل واحد حتى خرقوا صفوف العدو (113)، ولكن كثافة نيران المدفعية خففت من مهاجمتهم وأقنعتهم بالتراجع.

ويبدو أنهم كانوا يهدفون من وراء تلك الهجمات التي حدثت على عدة محاور، إلى الاستيلاء على المعسكر (114).

قتال 30 يونيو 1914.

في هذا اليوم خرج الكولونيل Odry من معسكر خنيفرة بقضه و قضيضه ليؤدب هذه الشرذمة من الزيانيين، وكان جيشه مؤلفا من سبع كتائب مشاة، وأربع كوكبات من الفرسان، وأربع بطاريات مدفعية. ويبدو أن هذه القوات الهامة حاولت التأثير على المجاهدين الذين تجمعوا بين جبلي تاغاط وأقال، وتشتيتهم بعيدا عن المركز، لكن نتيجة هذه العملية، كانت معركة أخرى حامية، كبدت العدو 17 قتيلا من بينهم ضابط من رتبة قبطان و 77 جريحا (115).

ولقد سبق أن خفت الاشتباكات في النصف الثاني من شهر يونيه نظرا لموسم الحصاد ولم تشر المصادر (116) إلا إلى بعض المناوشات الطفيفة بدون أهمية، لكن ما إن انتهى جمع المحصولات الزراعية حتى عادت الاشتباكات إلى ما كانت عليه من قبل، بل أخذت طابعا أكثر حدة و ضراوة.

قتال 7 يوليو 1914.

وقعت هذه المعركة في منحرجات تغط ذي التضاريس الوعرة. فقد توجه القائد الزياني على رأس المجاهدين إلى هذا المكان الذي يبعد عن خنيفرة بحوالي عشرين كيلومترا شمال

خنيفرة لا اعتراض سبيل الجيش الفرنسي العائد إلى مكناس. وترك قوات العدو تتوغل في الغابة، ثم هاجمها هجوما عنيفا. ومن خلال الوصف الذي قدمه أحد الضباط (118) المشاركين في المعركة، فإن موحا وحمو اعتمد تكتيكا يهدف إلى عرقلة تدخل المدفعية، وذلك بمضاعفة الهجمات المتقاربة وتكثيفها بشكل لم يسمح للعدو باستعمال السلاح الثقيل فانقلبت المعركة جسما لجسم، وهذا ما كان يريد أن يصل إليه القائد، ويستطرد الضابط أن الجنرال هنريس الذي كان يتابع المعركة بواسطة المنظار، اكتشف أن القائد الزياني كان يتوفر، هو أيضا على قيادة أركان تتكون من بعض أبنائه ورؤساء الجماعات"، وعلى احتياطيين من المحاربين في أتم الاستعداد للتدخل، (119). وأسفر القتال على 11 قتيلا و3 جرحى من الجانب الفرنسي (120).

وبعد أقل من أسبوع عادت حامية خنيفرة لتصد هجمات أخرى نفذها المجاهدون خصوصا أيام 6 و 11 و 13 يوليوز. وتذكر الرواية الفرنسية أنها (أي الحامية) استطاعت أن ترد المغاربة على أعقابهم بفضل تفوقها عددا وتسليحا (121).

قتال 18 يوليوز 1914

وفي 18 يوليوز، حاول المقاومون من زيان واشقيرن قطع الطريق على سرية فرنسية بين سيدي عمرو وبين خنيفرة. وتناقلت

التقارير (122) أن القتال استمر طيلة الصباح، و أشارت إلى جسارة المغاربة الذين كانوا يتهافون على الموت تهافت الفراش على الضوء في سبيل الشهادة ، كما أشارت إلى مقتل خمسة جنود من العدو وجرح 11.

وبعد أسبوع فقط، أي في 25 يوليوز، عاود المقاومون هجومهم ليتعرض مركز خنيفرة لغارة عنيفة. ويبدو أن الزيانيين كانوا يهدفون من وراء كل هجوم إلى إلحاق أكبر الخسائر بالعدو لإرباكه وإرغامه على مغادرة المدينة. وقد تأكد من تقارير الضباط أن ساكنة الثكنة، الذين ظلوا يتجاهلون حقيقة مقاومة زيان، أصبحوا مضطرين للاعتراف بأنهم محاصرون، وأنهم يواجهون خصما عنيدا لا يمكن التكهّن بنتائج الصراع ضده. وفي هذا الصدد، سجل لنا القبطان سعيد كُثون، رغماً على أنفه، أمجاد هذه المقاومة وبطولة رجالها قائلا

في شهر يونيه وشهر يوليوز بلغت خسائرنا عدة مئات من القتلى والجرحى ، فيما بدأ التعب والضجر يدب في صفوف وحداتنا من جراء تلقيها ضربات الزيانيين في الثكنة نفسها، وفي معرض الفرق، ودون أن تتح لها الفرصة لمهاجمة العدو لكي تأخذ ثأرها" (123)

ويضيف الملازم J.Pichon:

كان كل خروج على مسافة من الثكنة، يكلفنا عددا من القتلى والجرحى" (124)

أما ليوطي فقد أبرق إلى حكومته بأن
"حامية خنيفرة ، يجب أن ينظر إليها على أنها محاصرة (125)
وهكذا يمكن القول

1 - إن الانتصارات الصغيرة التي تحققت في غضون شهر واحد، أذكّت لدى المقاومين روح الجهاد في سبيل الله، وألهبت حماسهم، وقوت روحهم وأنفاسهم، فعقدوا عزمهم على مواصلة الحرب ضد عدوهم

2 - إنه بعد شهرين (يونيو - يوليو) من غزو خنيفرة تبين للفرنسيين أنهم محاصرون بخنادقهم، وأنهم أمام خصم عنيد يملأه الإيمان بعدالة قضيته، ويدفعه حماس الجهاد للدفاع عن دينه ووطنه، كما تبين لهم أن هذا الخصم يعرف كيف يستفيد من معرفة الميدان لمواجهة قوات تفوقه عدة وعددا، وكيف يفرض عليها المعركة في الوقت الذي يراه مناسبا

ومن الصدفة الحسنة التي ساعدتهم على تضيق الخناق على أعدائهم، إشهار الحرب على فرنسا من قبل ألمانيا، بعد إشهارها على روسيا، وهي الحرب العالمية الأولى التي استمرت حتى 11 نونبر 1918.

لقد نزل خبر هذه الحرب بردا وسلاما على الزيانيين، فأذكت حماسهم وقوت روحهم وبعثت الأمل في نفوسهم، واعتقدوا، بل تيقنوا أن الساعة الأخيرة للوجود الفرنسي في المغرب حانت، أو باتت وشيكة، يقول سعيد كئون وهو ينطلق من هذه النزعة الاستعلائية:

ما إن أعلنت الحرب التي وصل خبرها إلى زيان في نفس الوقت الذي وصلنا فيه ، حتى أخذ العدو يشدد الحصار علينا ويستعد لمنعنا من الفرار. (126).

وشاع الخبر في الجبال بسرعة كبيرة، وتأجج حماس الجهاد، ليعم القبائل في الجهات الوسطى من الأطلس كزيان و الجنوب كإشقيرن، والجنوب الغربي كآيت إسحاق، و الجنوب الشرقي كآيت مكّيلد. وقام زعماء المقاومة كسيدي علي أمهاوش وموفا وسعيد الو رّاوي، وسيدي سعيد أحنصال، يلهبون الشعور الديني لحث القبائل على حمل السلاح، كما قاموا بإرسال وفود إلى الجنوب المغربي، في تافيلالت ودادس في محاولة لتوحيد المقاومة الوطنية(127). أما موفا وحمو فقد عمد إلى تنظيم حملات استطلاعية إلى الطرق الرابطة بين مكناس وخنيفرة وبين تادلة وخنيفرة التي تسلكها قوافل التّموين وذلك بغية التعرف على طاقات العدو العسكرية.

ثم جاء قرار الحكومة الفرنسية القاضي بتقليص أعداد الجيش الفرنسي، وتلقى المقيم العام الأمر بإرسال 37 كتيبة من مجموع 64 كتيبة التي يتكون منها جيش الاحتلال بالمغرب، لتعزيز قدرات الدفاع الوطني الفرنسي ضد ألمانيا. كما تلقى الأمر بالتخلي عن جميع المراكز المتقدمة وحصر نفوذ فرنسا في الشواطئ الرئيسية (128)، الأمر الذي بعث الأمل في نفوس المجاهدين وجعلهم يعتقدون أن الفرنسيين سينسحبون. فقرروا مواصلة القتال وتكثيف الهجمات أكثر فأكثر لإرغام المحتل على الجلاء. وكان سيدي علي أمهاوش يخطب فيهم

اصبروا، فبعد قليل لن تجدوا أحدا يحاربكم (129).

وتذكر المصادر الفرنسية أن المعارك التي دارت على أبواب خنيفرة - بعد أحداث أوروبا - تميزت بعنف شديد وشراسة كبيرة (130). فعلى سبيل المثال، لا الحصر، تعرضت الفيالق التي غادرت خنيفرة، يوم 4 غشت 1914، في اتجاه الساحل لركوب البحر، إلى هجمات شديدة. فما كادت هذه الوحدات تخرج من المعسكر حتى فاجأها الزبانيون بإطلاق النار عليها . وقد ظلوا يناوشونها طيلة ذلك النهار، ولم يفارقوها حتى توارت عن بلاد زيان، ولندع J.Le Prévost يعطينا بعض الإيضاحات

صحيح أن يقال إن الفيالق غادرت معسكر خنيفرة، ولكن بأي

ثمن ؟ فما كاد جنودنا يتجاوزون الأسلاك الشائكة حتى بدأ
الاحتفاء بهم. فقد نزل المهاجمون من التلال المجاورة على غرة،
كانهم شياطين، وفرغوا بنادقهم عليهم واختفوا بأقصى سرعة.
ومن جهة أخرى كانت آلاف البنادق الكامنة وراء الأشجار
والصخور تمطرهم برصاصها بغضب شديد ولولا المدفعية لما
أمكن أن نفتح ممرا لهذه القوات (131).

ويضيف ضابط آخر

تعرضت الوحدات التي غادرت خنيفرة ، إلى هجمات غاضبة
منذ خروجها من المدينة، ورغم الخسائر الجسيمة في الأرواح
التي منيت بها ، فإنها وصلت مع ذلك إلى الميناء في طريقها إلى
فرنسا . (132).

وبتأثير من الأحداث الأوربية وصلت حركة المقاومة لدى
القبائل الأطلسية إلى حد بعيد، فهذا سيدي علي أمها وش ينزل من
جبال آيت سخمان إلى قرية لقباب ليتولى بنفسه قيادة المعارك،
ويسهم في حصار خنيفرة من جهة الجنوب. أما موحا وحمو الذي
كان لا يشك قيد أنملة في الانسحاب الفرنسي عن المغرب، فقد ظل
يحث الزيانيين على مضاعفة الهجمات ونصب الكمائن، واعتراض
سبيل القوافل ومواصلة تضيق الخناق على محتلي المدينة، حتى
يتم الجلاء عنها بأقصى سرعة.

كانت نتيجة هذا الهيجان - بعد أقل من نصف شهر على اندلاع الاشتباكات في أوربا - أن عرفت المعارك ضراوة كبيرة حيث تبين للمحتلين الذين وجدوا أنفسهم معرضين ليل نهار لغارات المقاومة، أن الدفاع عن المركز وتموينه يتطلب إمدادات مستمرة. علق القبطان سعيد كُتون قائلا

" كانت تحدث كل ليلة معركة وكل ليلة محاولة ضد تحصيناتنا (133).

وكان على قائد الحامية الكولونيل Laverdure أن يواجه مقاتلي زيان ومن انضم إليهم من المجاهدين من قبائل الأطلس في معارك أخرى نذكر منها على الخصوص **قتال 5 غشت.**

في هذا اليوم قاد موحا وحمو هجوما على المركز، ودارت معركة طاحنة دامت من الخامسة صباحا إلى الرابعة بعد الزوال (134). وتلته هجومات أيام السادس عشر، و السابع عشر، وتناقلت الروايات الفرنسية أن المعارك كانت تدور بقرب من أسوار خنيفرة (135)

قتال 19 غشت .

في هذا اليوم خرج الكولونيل Garnier Duplessis، قائد حامية تادلة و المسؤول عن تموين مركز خنيفرة، على رأس قوات

هامة معبأة تعبئة قتالية تامة لتنفيذ مهمة بين سيدي لامين وكهف النسور (كاف النسور). ويبدو أن المقاومين علموا بخروج هذه القوات، لذلك أخذوا مواقعهم على مرتفعات جبل معجبات، تاركين القوات الفرنسية تتوغل في الشعاب، ولما صارت على مقربة منهم انقضوا عليها وهاجموها هجوما عنيفا حيث دارت معركة شرسة تواجعت فيها القوات الغازية ومجاهدو زيان . ومن خلال الوصف الذي قدمه الضابط J.Pichon، فإن المعركة استمرت طيلة النهار، لكنه لم يذكر الخسائر التي مني بها الجانبان (136) وفي نفس اليوم (19 غشت) كانت مجموعة أخرى من المجاهدين تتربص وصول قوات الكولونيل Claudel من مكناس، فتحصنوا في منعرجات تغط ، ولما وصل إليهم جيش العدو هاجموه وشب قتال عنيف تحول وجها لوجه (137)

معركة 20 غشت

رغم ضراوة المعارك المذكورة سابقا فإن المعركة الهامة التي وقعت في هذا الشهر هي معركة 20 غشت. ففي هذا اليوم تحرك، في اتجاه الجنوب الغربي لمدينة خنيفرة، عدة آلاف من المقاومين حسب تقديرات الجنرال كيوم (138)، وتحصنوا وراء الصخور في انتظار قافلة التموين الآتية من تادلة، و التي تحرسها فرقة متحركة بقيادة الكولونيل G.Duplessis.

واستعدادا لرد هجوم محتمل من المقاومة، أصدر الجنرال هنريس أوامره للكولونيل Laverdure من أجل احتلال المرتفعات المطلة على خنيفرة، لتوفير الحماية وبخاصة في المكان المسمى تازروت موكبو (الحجرة المثقوبة) ذي التضاريس الوعرة، والتي كثيرا ما يتحصن فيها المقاومون.

وقد أنيط بهذه المهمة الكومندار Durmelat الذي أسرى بجيش يتكون من أربع سرايا من الرماة، وقطعة مدفعية 65 مم (جبلية) ومفرزة من السبايس. ودبر خطته تدبيرا متقنا، حيث نصب مدافعه على جبل بوموسى، وسد الطرق و المنعرجات التي يتسلل منها الزيانيون (139).

أما المجاهدون، فكانت خطتهم أن ترجلوا و تركوا خيولهم مختفية في الشعاب ، وهاجموا المدافع هجوما شاملا، وعلى إثرها نشب قتال عنيف انتهى بتعطيل المدفعية، وتدحرج الجيش نحو قافلة التموين. ولم يتمكن Durmelat من فك الحصار عليه إلا بتدخل قوات أخرى جاءت من خنيفرة (3 سرايا و الكوم ومدفعية 75 مم)، وانسحب المغاربة تحت ضغط نيران المدفعية، ولكنهم لم يغادروا ميدان المعركة (140).

في هذه الأثناء كانت قافلة التموين تتقدم بخطى ثابتة ،بل نجحت من عبور الحجرة المثقوبة بلا حادث، ولكن ما أن

توغلت في إحدى شعاب جبل بو موسى حتى انقض عليها
الزيانيون من جميع الجهات، ودارت معركة طاحنة، خيم عليها
الرعب وتحولت إلى مبارزة وجها لوجه.

نتائج المعركة

قال الجنرال كيوم

كانت معركة يوم 20 غشت ضد خصم عنيد وقد دامت
من السادسة صباحا إلى الخامسة و النصف مساء، تكبد فيها
العدو خسائر فادحة ، بينما كانت خسائر قوات Durmelat
طفيفة بسبب موضعها على المرتفعات غير أن خسائر الفرقة
المتحركة التي كان يقودها الكولونيل G.Duplessis كانت أفدح،
إذ خسرت 30 قتيلًا من بينهم ضابط واحد و 64 جريحًا من بينهم
8 ضباط (141).

وقال J.Pichon:

إن اشتباك 20 غشت كلفنا، وا خسرتاه أربعين قتيلًا من بينهم
ضابط واحد و 50 جريحًا من بينهم ضابطان (142).

أما القبطان سعيد كثون الذي كان شاهد عيان، وربما شارك
في المعركة بصفته أحد ضباط حامية خنيفرة، شأنه شأن الملازم
J.Pichon، فقد ضرب صفحا عن خسائر الفرنسيين، في حين

أظهر خسائر الزيانين رغبة في نشر روح الانهزامية في صفوف المجاهدين، حيث قال

خسر العدو أكثر من 200 قتيل من بينهم رجال مشهورون وأعيان تركوا على أرض المعركة ... ومئات من الجرحى. كما خسر عددا كبيرا من الخيول، فضلا عن الأسلحة التي استولينا عليها أثناء القتال (143)

وإذا كنا لا نستطيع أن نتبين مدى صدق هؤلاء الضباط نظرا لعدم وجود أوصاف محايدة، ولانعدام وصف مغربي لقتال 20 غشت، فبإمكاننا أن نشك في التقديرات التي أوردها الجنرال كيوم، كما يحق لنا أن نرتاب من القبطان كئون الذي أحصى عدد القتلى والجرحى في صفوف المغاربة.

إن عدة آلاف الزيانين المشاركين في المعركة الذين ذكرهم الجنرال كيوم عدد مبالغ فيه. فقد أوردت المصادر الفرنسية نفسها - كما سنرى في القسم الثاني من الدراسة - أن عدد المقاومين كان غير قار، فهو يزيد عندما يتوافد متطوعو القبائل، وخاصة بعد مواسم الحصاد و الحرث، وينقص عندما يكون الناس منشغلين بجمع محصولاتهم الزراعية. والحالة هذه، أن المعركة تزامنت مع فترة جني محاصيل الجبال المازوزية التي يشرع في قطف ثمارها أواخر فصل الصيف - هذا من جهة، ومن جهة أخرى

يظهر أن مواجهة الزينيين لقوات الاحتلال، حسب المصادر المذكورة دائما، يتم على شكل مجموعات لا تتعدى الواحدة منها ثلاثين مقاتلا، وحتى إن فرضنا جدلا أن العدد الذي قدمه الجنرال كان صحيحا، فإن هذا العدد كان موزعا على عدة جبهات قتالية لا يوجد بينها تنسيق كبير ولا تخضع لقيادة واحدة

ومهما يكن ، فإن معركة 20 غشت زادت من حصار مركز خنيفرة ومن عزلته عن العالم الخارجي، وأصبح من العسير جدا إمداده بما يحتاج إليه من تموين وذخيرة لضمان صموده أمام ضربات المقاومة المتتالية.

وفي الخامس والعشرين من غشت، عاود المغاربة هجومهم على المركز، وعلى إثر هذه الهجومات غير المنقطعة، صدرت تعليمات من الجنرال هنريس تذكر قائد حامية خنيفرة بأن الوجود الفرنسي في المغرب الأوسط كله متوقف على صموده في عاصمة زيان، وبناء عليه وجب اتخاذ جميع تدابير القتال في وجه المقاومة (144)

قتال 22 غشت

وفي 22 غشت كان على جيش الكولونيل G.Duplessis، وهو في طريق عودته إلى تادلة، أن يواجه من جديد المقاومين الذين كانوا يترقبونه في المكان المعلوم. وجرت مرة أخرى معركة

ضارية بين الجانبين حينما كان G.Duplessis يحاول اجتياز
الحجرة المثقوبة "، ولم يتمكن من فتح الطريق واختراق صفوف
المجاهدين إلا عندما جاءت تعزيزات من خنيفرة (145).
وإذا كانت هذه المعارك قد سجلت نجاحا كبيرا في الحصار
المضروب على خنيفرة، فإن ما زاد من التعبئة والقتالية، في نهاية
صيف 1914، هو ما راج من أخبار (146) مفادها أن الإمبراطور
العثماني عقد إتصالا مع السلطان عبد العزيز (1894-1907)
واقترح عليه إمداده بالأسلحة و الذخيرة لرد النازلين ببلاده. كما
حدثت نفس الأخبار أن موحا وحمو تلقى رسائل تفيد أن السلطان
يستعد للعودة إلى المغرب لقيادة المقاومة (147). ولا غرابة في ذلك
لأن الفرنسيين كانوا يستفيدون من شبكة استعلامات فعالة تتشكل
من مخبرين في القبائل، يساعدهم أعيان في عملية الاستخبار مثل
عمر وأخيه ابني أخت موحا وحمو اللذين التحقا بالمعسكر الفرنسي
كما سيأتي، أو بوعزة بن موحا وحمو الذي سقط فيما بعد، على أم
رأسه وأصبح بحشمه وخدمه أمام مركز خنيفرة.
وعلى إثر ذلك قام الزعيم الزياني صارخا في قبائله يحثها
لستمر على ما كانت عليه من التضيق على المركز و مواصلة
القتال، وعقد مع سكان القائل اجتماعات ومؤتمرات، وتجول في

الأسواق والمداشير لشرح مضمون رسائل السلطان عبد العزيز (148).

نتائج الحصار

1- إن هذه المعارك الخطيرة جعلت الجيش الفرنسي يتخلى عن الثكنة العسكرية التي أسسها خارج المدينة لقطع الطريق على المنتجعين إلى الأزغار ، فخرّب الخنادق و المنشآت الدفاعية واكتفى بتحسين مواقعه، وإيواء جنوده داخل المدينة، احترازا من هجمات الزيانيين (149). ومع ذلك، استمر المغاربة في مناوشة القوات الفرنسية سواء خلال الليل أو في النهار، وفرضوا عليها عزلة تامة حيث لم تجرؤ لخوض أي معركة أو هجوم على تجمعات المقاومين الذين كانوا - مع ذلك - في متناول المدفعية أو حتى القيام باستطلاع، بعيدا عن المعسكر. وإذا كان الحق هو ما شهد به العدو، فلنستمع إلى ما قاله الضابط كُتون حول الحصار أصبح إطلاق النار على المركز عملا اعتياديا وخاصة على مواقع حراسنا الذين كانوا مضطرين لخوض القتال كلما قاموا بدورية أو التحقوا بنقاط الحراسة، في حين كان بوعزة بن موحا وحمو الذي سيصبح فيما بعد بطلا في صفوفنا ، يضطلع بدور منع أي اتصال بين المخابرات الزيانيين ، وبين مكتبنا في الاستعلامات.

وهكذا أصبح من المستحيل القيام بأي خروج على بعد خمسمائة متر من المركز، دون أخذ حيلة لا نهائية، ودون تعيين عدة وحدات مجهزة بالمـدافع والرشاشات لتأمين عودة فرقة الاستطلاع ، ورغم ذلك كلفنا خروج ذات يوم 4 قتلى "(150).
ويضيف ضابط آخر:

" لقد سقط الغزاة في فخ الحصار، وأصبحوا سجناء غزوهم. فهاهم الجنود يقضون أيامهم هنا (أي في خنيفة) في التقاط أمراض التيفوس و الحمى الصفراء و الإسهال، و الحال أن المستوصف يشكو من نقص كبير في الأدوية بل من ندرتها (151).

2- غير أن الذي كان يشغل بال ساسة الحماية أكثر هو مسألة تموين المركز. فهم يعرفون أن المؤن التي تأتي من تادلة عن طريق أبي الجعد، لا تصل إلى خنيفة إلا بعد خوض معارك طاحنة ، تسفر في غالب الأحيان عن قتلى وجرحى وضياح السلع كما جرى يوم 20 غشت السالف الذكر. ولذلك ارتأوا أن تكون وجهتهم هذه المرة من الشمال، أي من معسكر مكناس عبر أمريرت. فجهزوا جيشا عظيما من القبائل الخاضعة (بني مطير، بني مكليد، زمور...)، ولكن ما أن تصل هذه القوات إلى منعرجات فم تكتطحى يتلقاها الزيانيون بكل حفاوة. مثال على ذلك، تعرضت،

يوم 19 غشت قوات Claudel لهجوم شامل نفذته قبائل ايت سكوغو (زيان الشمال) على طول ممر تكط (152)، والمثال الثاني أورده أحمد المنصوري (153) الذي ذكر أن قافلة التموين لقيت مقاومة شديدة على مشارف مدينة خنيفرة في المكان المعروف بالبرج على نهر أم الربيع، حيث ضرب المقاومون حصارا على هذه القافلة، ونشب قتال عنيف أدى إلى سقوط السلع في النهر.

ويضيف نفس المصدر

لا تكاد تصل تلك القوافل لأطراف التراب الزياني حتى تدق أجراس غيبية سريعة بين القبائل، فيتهيا للقيها بكل حفاوة ... فكانوا يفرحون بسماع قدوم القوافل لما فيها من النوافل، فما شئت من الذخيرة وزاد، وما شئت من مكاحل وقرطوش وعتاد. وتلك حظوظ وسعود من قافلة تسير و أخرى تعود (154).

نتيجة لذلك وقع نقص كبير في المواد الغذائية وخاصة اللحوم و الخضر الطازجة. فقد أورد الضابط J. Le Prévost أن قافلة يوم 20 غشت زودت المركز بعدد من الأبقار، ولكن لم يكن من الممكن إرعاؤها خارج أسوار المدينة، نظرا لقصف المقاومة، فبنيت لها زريبة في مكان يستعمل لمعالجة الأقدار، وبقيت تلك الحيوانات التعسة مقيدة وسجينة لا تتحرك حتى أصبحت نحيفة.

وقد نجت منها بعض الرؤوس، غير أن لحومها كانت يابسة وعسيرة الهضم، وماتت الرؤوس الأخرى في برازها (155).

وهكذا تدهورت الأحوال الصحية في الثكنة وبدأت الأمراض تفتك بساكنتها، وسجلت حالات كثيرة من فرار الجنود وخاصة المجندين المغاربة الذين كانوا يلتحقون بالمقاومة بعدتهم وذخيرتهم. وقد لخص سعيد كُتون هذه الحالة في قوله

كان جنود يفرون كل صباح بأسلحتهم بعد قتل

ضباطهم الفرنسيين أو الجزائريين. وهكذا فقدت

سرية ، في غضون أشهر، نصف عددها (156).

3-أخذ النفوذ الفرنسي يتلاشى في القبائل الخاضعة لإدارة

الحماية وخاصة في قبائل الهضبة الوسطى، وبدأ موحا وحمو يستقبل متطوعين من قبائل زمور وكُروان وزعير وبني مطير...

دخلوا كلهم تحت راية المقاومة، وتوسعت رقعة الجهاد (157).

جملة القول إن احتلال خنيفرة لم يفض إلى غزو بلاد زيان

وكسر شوكة المقاومة المسلحة، رغم ما بذله الفرنسيون من جهود

مضنية لاستقطاب قائدها، وتلغيم القبيلة بوسائل مختلفة، كانت

تهدف أساسا إلى تفكيك المكونات الإسلامية، بل على العكس من

ذلك، أصبحوا - بعدما ظلوا يتجاهلون حقيقة موقف سكان زيان -

مضطرين بالتصريح بالواقع والاعتراف بأنهم محاصرون في

تكننتهم، وان مقاتلي زيان المدعومين بقبائل أخرى من خارج زيان، عازمون على مواصلة الحصار والدفاع عن بلادهم
إن هذه الحركة الجهادية التي بدأت تعم قبائل الأطلس والهضبة الوسطى (زمور، زعير، كروان بني مطير) هي التي أقلقت قائد حامية خنيفرة الكولونيل Laverdure، وجعلته يستنتج أن فك الحصار على جنوده يتطلب شن غارة على مخيم لهري واختطاف القائد موحا وحمو.

هوامش القسم الأول :

- 1- يقول أحد الضباط الفرنسيين " في سنة 1908، عندما كانت قواتنا تجوب الشاوية لتهدئتها أعلن موحا وحمو الجهاد ضدنا " انظر F.Berger , Moha ou Hamou le zaiani , un Royaume berbère contemporain au Maroc , ed. de l'atlas, 1929, p.85.
- 2- P.Guillen les investissements au Maroc de 1912 à 1939 » in la position internationale de la France , cité par D.Bivet dans Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc , l'Harmatan , 1987, t3 p 82
- 3- A.Bernard , le Maroc , Alcan , Paris 1932, p .380.
- 4- أحمد المنصوري، "كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر"، مخطوطة الخزانة العامة ، رقم 946 تحقيق محمد بن لحسن. (تحت الطبع) ج 1 ص 18.
- 5- Général Lyautey , Lyautey l'africain (1912-1925) , textes présentés par P. Lyautey, Plon 1953 , t2 , p 181.
- 6-Le Réverend , un Lyautey inconnu , ed . Perrin , 1976 p. 360.
- 7- انظر المصدر السابق ، ص 367.
- 8- voir, Rapport n° 142 , General Henrys à Lyautey, Meknès le 1^{er} Mai 1914 , A.M.G. 525.
- 9- A. Lyautey ,vers le Maroc lettres du sud oranais (1903 –1906) Paris 1937 , P 165.
- 10- Lyautey à Guerre , Rabat 2 août 1913 , A.M.G. 296.
- 11- Lyautey l'africain (1912- 1915) , op.cit. p 186.
- 12- اعتمدنا في سرد الأحداث على التقارير الرسمية العامة وكذا بيانات الضباط المشاركين في المعارك، اعتقادا منا أن ما يبعث به المقيم العام إلى حكومتهم لا يعكس إلا الحقيقة.
- 13- Télégramme n° 1802, Henrys à Lyautey, le 8 juin 1914, A.M.G. 904.
- 14- نفسه.
- 15- J.Pichon , El Herri , éd. Charles Lavauzelle, Paris 1936, p .14.
- 16- J.Le Prévost, jusqu'à l'usure des sabres, manuscrit, p 120.

- 17- Lyautey à A.Lazard , Rabat 22 juin 1914, dans A.le Révérend... p , 274.
- 18- M. Le Glay, les sentiers de la guerre et de l'amour, récits Marocains ; 1930, p.120.
- 19- J.D'esme, le Maroc que nous avons fait, Hachette 1952, p , 102.
- 20- Lyautey à A.Lazard , op , cit , p .274.
- 21- Lyautey l'africain , op , cit , p 249.
- 22- D.Rivet , « ethnographie et conquête du Moyen Atlas. 1912 – 1931 » Sciences de L'homme et conquête coloniale, p .168.
- 23- J.Le Prévost , op , cit , p ,129.
- 24- نفسه ، ص 21.
- 25- نفسه ص، 129.
- 26- نفسه.
- 27- Lyautey l'africain , op , cit , p .204
- 28- أورده جان بيشون ، المصدر السابق، ص، 17.
- 29- نفسه ، ص، 17-18.
- 30- J. Le Prévost , op,cit ,p .120
- 31- نفسه.
- 32- نفسه ، ص، 123.
- 33- أحمد المنصوري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 94.
- 34- J.Pichon op ,cit, p 61.
- 35- J.le Prévost op.cit .p.124.
- 36- M. le Glay , les sentiers ...op , cit , p 146.
- 37- Général Guillaume, les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas central, Julliard,1947 , p 157.
- 38 - نفسه.
- 39- J.le Prévost , op , cit p .125.
- 40 - مصدر سابق ، ج 2 ، ص 27-28.
- 41- D.Rivet , Lyautey et L'institution t1, pp. 87-88.
- 42- نفسه .

43- J.Le Prévost , op , cit , p 125.

44- أحمد المنصوري ، ج 2 ، ص 26.

45- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب ، مطبعة المدارس، 1985، ج1، ص 363.

46- محمد بن جعفر الكتاني، نصيحة أهل الإسلام ، مكتبة بدر، الرباط 1989، ص 89.

47- أحمد المنصوري، ج 2، ص 27-28.

48- نفسه.

49- نفسه

50- Le Marquis de Segonzac , voyage au Maroc (1899 –1901), Armand Colin , 1903 , p 55.

51 - نفسه.

52- S.Guennoun, la montagne berbère, éd. Omnia, Rabat 1934 ,p33.

53- نفسه.

54- أحمد المنصوري، ج 2، ص 69.

55- نفسه.

56- Lyautey à A. de Mun, Marrakech, 10 Octobre 1913, in choix de lettres (1882-1919), A. colin, p 207.

57- محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب (1912-1939)، سنة 1972 ، ص، 95.

58 - أحمد المنصوري مصدر سابق ج1، ص 74.

59- Lettre n°2607 S.G.C. Secrétariat du gouvernement à chef du Bureau politique , Rabat 30 septembre 1913. Carton n° 3108 II2

60- حالت هزيمة أحمد الهيبة دون تجميع قوات المقاومة المغربية في عمل موحد ضد الفرنسيين ، أنظر محمد خير فارس ، م.س. ص 95.

61- Télègramme n° B.p2, Lyautey à G.Duplessis, Rabat 24 octobre 1913, A.M.G. bloc zaian , et aussi note de la Résidence générale sur la situation politique dans la region de Oued zem , 21 mars 1913.

62 - أحمد المنصوري ... ج 2، ص 69.

63- نفسه

64- نفسه.

65- في رسالة إلى حاكم الجزائر كتب ليوطي يقول " إن ما أطلبه هو أن تدعوني أواصل التسلل و التسرب التدريجي و التفكيك المستمر الذي مارسته

بنجاح إلى اليوم أنظر Lyautey , vers le Maroc , op , cit, p 165

66 - أحمد المنصوري ج 2، ص 93.

67- Lettre n°26 07, S.G.C.Secritariat général du gouvernement cherifien à chef du bureau pollitique , Rabat 30 septembre 1913 , carton N° 3108 II 2

68- Télègramme n°Bp2 , op ,cit.

69- نفسه.

70- F. Berger , op .cit.p 32 , voir aussi J.Le Prévost , p 13.

71- نفسه ، ص 82.

72- D.Rivet ,Lyautey op , cit.p 168.

73- أحمد المنصوري ...مصدر سابق، ج 2 ص 75.

74- نفسه

75- بعد غزو بني مطير وبني مكيلا، إهتم الجنرال هنريس بضرورة تنفيذ "سياسة بربرية" في الأطلس المتوسط حيث قال : " يظهر لي بوضوح أنه سيكون من غير السياسة عدم وضع الحالة الخاصة بهذه القبائل التي

سنواجهها في الحسبان " انظر : C.R.Ageron ,la politique berbère du

Protectorat de 1913 à 1934 revue d'histoire moderne et contemporaine t XVIII ,janvier –mars 1971, p 62.

76- أحمد المنصوري ... ج 2 ص 75

77- نفسه.

78- F.Berger ,op ,cit ,p 82.

79- رواه ابن ماجه في كتاب " الفتن".

80- D.Rivet , Ethnographie...op ,cit , p 168.

81- أستاذ بمقالة الأستاذ سعيد بن سعيد العلوي، صورة المغرب في

الإستشراق الفرنسي المعاصر ، مجلة الاجتهاد 1994، عدد 25، ص 103.

82- Note de service n° 275z, khénifra 16 Juin 1914.

83- J.Le Prévost , op , cit , p , 21.

84- J.Pichon , op ,cit.p 15.

85- F.Berger , op ,cit , p 55.

86- D.Rivet , Ethnographie ...op, cit , p169.

87- نفسه.

88- M.Le Glay , Les Berbères du Mroc Renseignements Coloniaux 1916, pp.141-146.

89- V.Piquet , le peuple Marocain , le bloc Berbère, Alcan 1995, p5.

90- R.Basset , recherche sur la religion berbère , revue d'histoire des missions , vol .LXL,p 330.

91- P.Marty , le Maroc de demain , Comité d'Afrique française , Paris 1925, p 217.

92- المصدر السابق ، ص 282.

93- نفسه.

94- E.Michaux- Bellaire , l'organisme marocain Revue du monde musulman 1909, t IX, p3.

95- أحمد المنصوري ... ج 2 ص 131.

96- نفسه.

97- نفسه.

98- F.Berger, op , cit p 99.

99- J.Le Prévost , op , cit , p 146.

- 100- لوشتولي، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محيي الدين الخطيب، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، دون تاريخ، ص 59.
- 101- F.Berger , op , cit , p .99.
- 102- نفسه
- 103- مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق 1981، ص 36.
- 104- J.Le Prévost , op ,cit , p 49.
- 105- احمد المنصوري ج 2، ص 75 - 76.
- 106- G.Bernié Moha ou Hamou,Guerrier berbère, éd .Gautey Casablanca 1945 ,p.57.
- 107- F.Berger , op , cit ,p89.
- 108- G.Bernié , op ,cit , p 57.
- 109- نفسه.
- 110- نفسه.
- 111- J. Le Prévost, op , cit , p 90.
- 112- نفسه.
- 113- أحمد المنصوري ...م س . ج 2، ص 93.
- 114- نفسه.
- 115- J.Pichon , op ,cit ,p 18.
- 116- Rapport mensuel du Protictorat , juin 1914, p 18.
- 117- M.le Glay , les sentiers op , cit , p 172.
- 118- نفسه.
- 119- نفسه.
- 120- J.Pichon , op , cit , p 22.
- 121- نفسه
- 122- Rapport N° 819 /8, compte rendu du chef de bataillon El Grar , 20 juillet 1914 , A.M.G .903
- 123- S.Guennoun, op , cit , p 212.

- 124- J.Pichon , op , cit , p 50.
- 125- Iyautey l'africain , op , cit , t1, p13.
- 126- Général Guillaume , les Berbères ..op , cit , p 158.
- 127- Télégramme l s 9/11 et 2s des 27 et 28 juillet 1914 A.M.G.267
- 128- نفسه.
- 129- J.Le Prévost , op , cit , p 135.
- 130- نفسه.
- 131-J.Pichon , op cit , p 30.
- 132- S.Guennoun , op .cit,p 211.
- 133- J.Pichon , op.cit , p 32.
- 134- نفسه .
- 135- نفسه
- 136- نفسه
- 137- نفسه ، ص ، 158.
- 138- المصدر السابق ص ، 95.
- 139- نفسه. ص 158.
- 140- أحمد المنصوري ج 2 ، ص 95.
- 141- المصدر السابق ، ص 35.
- 142- المصدر السابق ، ص 216.
- 143 - المصدر السابق ص 63 .
- 144- J. Pichon , op , cit p 147
- 145- Rapport n° 162 RZ, le colonel Laverdure à Résident général khenifra , le 9 octobre 1914, carton 56.
- 146- نفسه
- 147- J.Le Prévost , op.cit, p 147.
- 148- J.Le Prévost , op , cit , p 140.
- 149 - نفسه.

150- المصدر السابق ص 215.

151- J. Pichon , op , cit , p 36.

152- المصدر السابق ج 2 ، ص 118

153- نفسه ص 139

154- نفسه.

155- المصدر السابق ، ص 141

156- المصدر السابق.

157- أحمد المنصوري ج 2 ، ص 70-71.

القسم الثاني

المعركة

1- محاولة فك الحصار على خنيفرة باختطاف قائد المقاومة.

يتضح ، انطلاقا من التمعن في مقومات الحصار و الظروف التي مر بها، أن الجنود الفرنسيين أصيبوا بالعياء و الإرهاق، وان حياة الخنادق أصبحت لاتطاق ، ولم يكن قائدهم في غفلة من هذا الإحساس حيث لاحظ انهم يشعرون بضيق العيش ومرارته، ونفس الشعور أبداه ليوطي عندما صرح بأنهم (أي عساكر خنيفرة):
كانوا في حالة يأس" (1).

وقد وجد Laverdure أن رفع المعاناة عن جنوده وإنهاء حالة اليأس، الذي استولى عليهم وفك هذا الحصار الممل والقاتل، يستلزم مهاجمة المقاومة الزيانية ضدا على تعليمات رؤسائه، الذين ما انفكوا يؤكدون على التمسك باستراتيجية الدفاع ، إذ كيف يمكن لقائد عسكري مثله ، وتحت تصرفه حوالي ألفي رجل مدججين بأسلحة فتاكة، أن يرى جنوده يتضورون جوعا، ويتعرضون لأمراض مختلفة ، تفكك بهم، دون أن يعطيهم الفرصة لأخذ الثأر من هؤلاء المتمردين الواقفين قبالتهم.

أمام هذه الوضعية المزرية خطر ببال الكولونيل أن يخطف زعيم المقاومة الزيانية، وإنهاء هذا اليوم الغام، ولو أدى ذلك إلى مخالفة أوامر رؤسائه.

كان موحا وحمو في هذا الوقت بالذات قد نزل مع عشيرته وقبائله من الجبال التي بدأت تكسوها الثلوج ، وخيم في ملتقى نهري سرو وشبوكة بقرية لهري - في بداية خريف 1914- في تحدّ سافر للجيش المرابط بخنيفرة، على بعد أربعة عشر كيلومترا. وما استطار خبر نزول موحا وحمو بهذا المكان حتى تيقن Laverdure ، أن الحظ بسم له أكثر مما ينبغي ، وان الفرصة واثته لاختطافه وتخليد اسمه في التاريخ العسكري الفرنسي (2). ومما شجعه على المضي في تنفيذ خطته هذه ، التحاق اثنين من رجال القائد بالمعسكر الفرنسي ، وهما عمر واخوه ، وهما ابنا أخت له، من قبيلة آيت باجي، إحدى بطون آيت حركات (3).

كان عمر و أخوه قد زودا الكولونيل بمعلومات تفيد أن الإنهاك أخذ يدب في صفوف المقاومة وان أعداد المقاتلين ، فرسانا وراجلة أخذ يتناقص ، كما زوداه بمعلومات عن البلاد وطبيعتها ، ومواردها ، والخصومات الأسرية المستشرية ، وان القبائل على استعداد لاعلان طاعتها للفرنسيين ، لولا سطوة القائد ، وباختصار أصبح من السهل اختطاف خالهما غنيمة باردة ، فتنتهي المقاومة التي استنزفت القوات الفرنسية (4).

ولكن كيف يمكن الوثوق برجلين قتلا له في الحبل
والغارب ، ويعرف أنهما اقترفا جريمة السرقة، والتحقا بالمعسكر
الفرنسي خوفا من العقاب ؟

لقد كان ليوطي حريصا على ألا يثير المقاومين ، وكان يصل
إلى حد خنق مبادرات أعوانه بالرغم من أن النجاح كان يبررها،
ذلك لأنه كان يرغب أن يعيش ، خلال الحرب في حالة هدنة مع
المجاهدين (5).

ولم يكن لتخفى عليه اندفاعات لا فيردور، وما أعرب عنه
غير ما مرة، من أن استراتيجية الدفاع لا يمكن الاعتماد عليها
بصورة مطلقة تجاه أناس حريصين على مواصلة القتال والتضييق
على المحتلين، ولذلك زار خنيفة بتاريخ 5 أكتوبر 1914 بمعية
الجنرال هنريس، للحد من حماس الكولونيل من جهة، ومن جهة
أخرى لتهنئة الجنود على ما بذلوه ويبدلونه في الدفاع عما يسميه
الحصن المتقدم لاحتلالنا ضد الجموع البربرية العدوانية (6).

خطب ليوطي في عساكره، وأوسع لا فيردور مدحا عندما
وصفه بقائد عسكري كبير، وبالضابط اللامع المقدام (7). كما أشاد
ببطولاته في أفريقيا وسواها، غير أنه حثه أيضا على عدم
المغامرة و المجازفة، وأمره أن يتقيد باستراتيجية الدفاع عن
المركز ليس إلا، في انتظار ما ستجلي عنه الحرب في أوروبا،

معيدا إلى أذهان الجميع ، ضباطا وجنودا، أن مركز خنيفرة كان ولا يزال النقطة الأساس لإيقاف غارات المقاومة الزيانية، وتقدمها نحو الضفة اليمنى لنهر أم الربيع ، بل النقطة الأساس التي يحسب لها ألف حساب على المسرح السياسي الفرنسي في المغرب (8)، ولهذا ينبغي - في الوقت الراهن - التزام جانب السلم إزاء المقاومة ، ولكنه ينبغي في نفس الآن تهيئة الأرضية التي سيزحف عليها الجنود فيما بعد ، باكتشاف النزاعات القبلية القابلة للانفجار، واستغلال الخصومات الأسرية، وخاصة في سلالة العائلة الأمحرانية، والتعرف على الزعماء الطموحين الذين يمكن اصطناعهم مقابل امتيازات ورشاوى لخلق مناخ مناسب لتلغيم القبيلة وتفكيك المقاومة.

لا شك أن ليوطي الذي استحضر - وهو يتجه إلى خنيفرة - مغامرتي جمعة الغزوات بالجزائر و القصيبة بالمغرب، كان يسعى إلى تجنب تكرار إهانة أخرى للجيش الفرنسي في بلاد زيان. الواقعة الأولى - وهي جمعة الغزوات - جرت سنة 1845 عندما خالف الكولونيل De Montagnac أوامر رؤسائه، وأقدم على هجوم خاطف على قائد المقاومة الجزائرية الأمير عبد القادر في ضاحية وهران، غير أن خطته فشلت فشلا ذريعا حيث

فقدت المجموعة العسكرية التي كان يقودها Montagnac جميع ضباطها، من بينهم قائد الحملة وجميع الجنود عدا سبعة أفراد (9). الواقعة الثانية- (وهي معركة القصيبة) - جرت في بداية يونيو سنة 1913 عندما هاجم الكولونيل Mangin - وهو أحد الضباط المناهضين لصيغ ليوطي في التهدة - قرية القصيبة بهدف وضع حد لمقاومة موحا و سعيد الويرآوي ،الذي كان يحارب التوغل الفرنسي على مسافات واسعة تمتد أحيانا من جبال آيت ويرآ إلى سهول تادلة، وإلى تخوم الشاوية، ورغم أن Mangin أعد لهذا الهجوم ست كتائب ومدفعين (75 مم و 65 مم)، وفيلقين من الخيالة السبائس ، وألف من الخيالة المرتزقة ، أي ما مجموعه 5200 رجل، يقودهم 130 ضابطا ، فإن الحملة انتهت بكارثة حقيقية حيث بلغ مجموع الخسائر 320 رجلا بين قتيل وجريح ومفقود خلال معارك الثامن و التاسع و العاشر من يونيو 1913 (10).

ولكن هل التزم Laverdure بما سمعه من المقيم العام أم أنه صرف نظره عن تعليماته ؟ كيف نفهم عندئذ رغبته في خوض المعركة ضد المقاومة واختطاف زعيمها ؟

لنرجئ الإجابة عن هذا السؤال إلى حين ، وسنحاول الآن استقصاء بعض ملامح شخصية الكولونيل Laverdure من خلال بعض الإشارات التاريخية الملتقطة هنا وهناك.

من هو Laverdure ؟ كل ما نعرف عنه أنه انخرط في الجيش الفرنسي سنة 1880 بصفته جنديا من الدرجة الثانية (Deuxième classe) ، وفي ظرف إثني عشر عاما رقي إلى مرتبة نقيب (11)، وفي الهند الصينية ومدغشقر وأفريقيا السوداء، شارك في العمليات الصعبة وعانى معاناة قاسية، ولم تنل منه شيئا، فكانت حياته المهنية حافلة بالإنجازات، وتداولته الألسن حتى حسبه الناس شخصا آخر (12)، كان إذا يتوفر على خبرة بالحملات العسكرية ، لكنه في الميدان السياسي كان ، كما يصفه ليوطي:

... بدون علاقات في باريس ، وبدون دعم سياسي" (13).
في وسعنا الآن أن نرجع إلى السؤال الذي طرحناه آنفا كيف نفهم رغبة Laverdure في شن الحرب على المقاومة الزبانية ضدا على التعليمات الرسمية ؟ وبتعبير آخر هل كان في وسعه أن يتجنب الصدام، وهو الذي يرى أن دوره أصبح دور خازن الحامية ، يحصي جنوده كل صباح ، ويعد بكل عناية جدولا للموتى و المرضى و المفقودين، ويراقب الأسلحة والذخيرة ؟

يبدو لنا ، بعد أن حاولنا تركيب تلك الصورة على النحو الذي نحسب أن Laverdure كان عليها حقا ، أن الجواب لا يكون إلا بالسلب، ولم يكن له إلا أن يكون كذلك لاجتماع جملة من الأسباب الموضوعية.

1 - كان Laverdure ،الذي سطع نجمه في إفريقيا معجبا بنفسه ، ويعتقد أنه بعد خبرة طويلة في الحملات الكبرى، لا يمكن أن يضل أو يخطيء إذ كيف يمكن أن يتوفق في مناطق كثيرة من الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية ، و لا يتوفق على هؤلاء الفلاحين الذين لم يروا من الدنيا إلا محيطهم ، وحتى إذا كانوا قد حققوا بعض الانتصارات في بعض المعارك ، فإنما هو راجع إلى الجمود و التقيد بعقد التعليمات الصارمة ، وهذا ما افصح به أمام ليوطي في خنيفة:

أليس من الصعب يا سيادة الجنرال أن يتردد المرء في انتهاز الفرصة و الهجوم على العدو رغم التعليمات ، سيما و أنه (أي العدو) على مرمى من بنادقنا ، وان ذلك لا يتطلب إمكانيات كبيرة للإتصار عليه (14).

2 - كان Laverdure ينتمي إلى أولئك الضباط الذين يرون أن غزو المغرب يكلف غاليا ، ويجند أعدادا كثيرة من القوات المسلحة، وأن عملية التهدة تسير ببطء كبير لا تحقق نتائج



نموذج الخيمة الزيانية
التقطت الصور سنة 1925

مرضية ، بسبب نهج طريقة سلبية وجامدة في الإحتلال ، وهي طريقة بقعة الزيت و التوغل السلمي التي أعاد ليوطي انتشارها في المغرب ،انطلاقا من تجربته في الطونكين (Tonkin) ومدغشقر والجزائر، ولو أن قيادة الأركان سارت على نهج آخر مناقض للأول، واعتمدت على القوة العسكرية، واقتربت من " الجبل البربري" وهاجمت ببعض الكتائب من السينغاليين تلك القبائل المعصوبة التي لا تؤمن إلا بالقوة ، وهي لا تقدر أن تقاوم ادنى هجوم - لنتهت المسالة المغربية في غضون ستة أشهر، ولأعيد ثلثا الجيش الى الميتروبول للدفاع عن الوطن ، ومن ثم نكون قد قلصنا النفقات ، فضلا عن توفير الملايين من الفرنكات التي توزع خلسة على القبائل لشراء الذمم ، أو لتسليحها لتتقلب ضدنا بعد ذلك (15).

3 - غير أن الذي أغاض Laverdure ، وجعله يفقد صوابه هو النخوة و الحيوية التي لا زال الزيانيون - رغم الحرب- ينعمون بها. فقد اشارت المصادر الفرنسية (16) أنه ازداد حنقا وغیضا عندما علم أن موحا وحمو، وهو في الستين من عمره، رزق بمولوده الخامس عشر من ذرية الذكور، وكان قد خص هذا الحدث باحتفال كبير ، على عادة زيان في إقامة الحفلات ، شاركت فيه القبائل بحيوية ونشاط مفرط ، ليغیض نصارى خنيفرة الذين



حفلة زيانية أقيمت وسط غابة جنّ الماس
سنة 1930

كانوا يعانون اليأس و الملل (17)، وليثبت لهم أن زيان لا زالوا يعيشون في مرحهم كما كان الأمر قبل مجيئهم، وأنه لا يزال قائدهم المحترم بلا منازع، وقد جاء في كتاب J.Le Prévost ما يؤكد ما ذهبنا إليه حيث يقول

كان لفظ القوم - هذا الصخب الذي أحدثه الزياتيون غير مكرئين بمن حولهم - هو الذي أثار سخط الكولونيل ودفعه للانتقام من موحا وحمو (18).

و يضيف في موضع آخر:
توافدت القبائل على القائد ابتداء من السحر حتى المساء، وهي تصحب معها مئات الخرفان لإقامة شوى فخم، إن هؤلاء القوم الذين يعتبرون الحرب تسلية ، نسوا أو تناسوا أن العدو يربط على بعد بضعة كيلومترات من خيمة قائدهم (19).

2- الإستعداد للهجوم على مخيم لهري.

في ضوء ذلك كله جمع الكولونيل - في يوم 12 نونبر، على الساعة التاسعة ليلا - ضباط الحامية ورؤساء المصالح، وأخطرهم بأنه يعتزم تنفيذ غارة على مخيم موحا وحمو بقرية لهري (20)، وأوضح لهم أن المقصود هو اختطاف القائد الزياتي ومساعديه الأقربين ، ونهب الخيام و القطيع ثم العودة إلى خنيفرة قبل الساعة

الثامنة صباحا من يوم 13 نونبر ، وطبعا استبعد أي مقاومة من الجانب المغربي (21)، وكان في مجلس أركان الحرب ضباط خبراء بالمقاومة الزيانية منهم رئيس المخابرات القبطان Rack Brancaz الذي حذره من الأخطار التي يمكن أن تنتج عن هذه الغارة، ولم يكتف بهذا بل ذكره بمغامرة Mangin الذي ظن هو الآخر أن في مقدوره القضاء على موحا وسعيد الويرأوي ، فكانت كارثة بالنسبة لجيشه.

كان مركز خنيفة يتوفر على مخبرين سرين من زيان يترصدون أخبار موحا وحمو أولا بأول بحيث ينقلونها في حينها ، وكانوا قد أبلغوا مكتب الاستعلامات أن ما جاء به عمر وأخوه لا يتطابق مع الواقع ، كما أبلغوا أن هذين الشخصين اقترفا جريمة السرقة ، فطر دهما القائد من القبيلة (22). غير أن Laverdure الذي كان يحلم بتقديم رأس موحا وحمو على طبق ، أعرض عن النصيحة، و أصر على خوض الحرب بأقصى سرعة ، معقبا على ملاحظات رئيس المخابرات قائلا

... سرقا أم لم يسرقا ، الذي يهمني ليس الأفعال التي اقترفاها ، ولكن المهم عندي هو أن الزياني وجماعته استقرا بكل اطمئنان على بعد 10 كيلومترات من هنا . وقد أبلغاني (أي عمر وأخوه) انه يمكننا الاعتماد على أصدقائهما في

المخيم، و بفعل المباغثة نستطيع، ولابد لنا من ذلك، إلقاء القبض على موحا وحمو وجماعته، وهاهو مشكل زيان قد انحل وزعيمهم قد أسر أو قتل (23).

لقد بات واضحا إذن أن الكولونيل لا يخضع بسهولة ولا أحد في مجلس قيادة الأركان يستطيع أن يثنيه عن قرار الهجوم، فما هي الوسائل التي تم بها تنفيذ الإغارة؟
- الجيش الفرنسي:

كان الجيش الفرنسي (24) الذي هاجم قرية لهري يوم 13 نونبر يتركب من 7 سرايا، وقطعتين من مدفعية 75 مم و 65 مم (جبلية) وفصيلتين من الرشاشات، ومفرزتين، وفرق من الرماة الجزائريين، و الخيالة، والگوم والمخازنية.

كان هذا الجيش قد وصل إلى المغرب منذ أن بدأت فرنسا تحتل أطراف البلاد في بداية القرن العشرين، بمعنى أنه تدرب على الحرب بالمغرب، وتعودّ الشدة، وعارك المقاومة المغربية منذ أمد بعيد، في عدة مناطق، كما أنه دأب على استعمال وعورة الجبال التي بدأ يعرف مسالكها، وتعرف على تكتيك المقاومة (25)، وكان يؤطره ضباط ذوو رتب عالية، نذكر منهم على الخصوص الكومندارين Fages و Colonna de lecca و القبطانين Papillon رئيس الأركان وقائد سلاح الفرسان، و Ract

Brancaz، قائد المشاة ورئيس مصلحة الإستخبارات، المجموع حوالي 1800 رجل و 60 ضابطا ، درسوا في الكليات الحربية، وتدريبوا على الحرب في إفريقيا ، ويقودهم الكولونيل Laverdure الذي ينتمي لسلاح المشاة (26) وقد قسم هذا الأخير جيشه إلى خمس مجموعات

مجموعة A ، تحت قيادة الكومندار. Colonna de lecca ، وتضم السارية الاستعمارية، ومدفعية 75 مم (جبلية) وسيارة الإسعاف مع الطاقم الطبي ، و 15 بغلا.

مجموعة B، تحت قيادة القبطان Hornecker، وتضم سارتين من الرماة الجزائريين ، ومدفعية 65 ، وسلاح الفرسان مجموعة C، تحت قيادة الكومندار Durmelat ، وتضم بالإضافة إلى قائد الحملة Laverdure سارية من الرماة السيغالين وأربعة فيالق، وفصيلة من الرشاشات، والكثوم والمخازنية

مجموعة D، تحت قيادة الكومندار Fages، وتضم ساريتين وكوكبة من الرماة مسلحين بالرشاشات، وسلاح الفرسان، وطبيب ودواب الحمل

مجموعة E ، تحت قيادة القبطان Croll، تولت حماية مركز خنيفة مع بقية الفرق.

- إمكانات المقاومة.

أما المقاومة، فكانت لا تتوفر على جيش نظامي بمعنى الكلمة، بل على مجموعات من المتطوعين جاءوا من مختلف القبائل الزيانية بخاصة، وعددهم غير قار، فهو يزيد عند ما يفرغ الناس من جمع محصولاتهم الزراعية، وينقص عندما يقبل موسم الحصاد، أم عندما تقل التموينات، ويقدم لنا M.Leglay، وهو أحد الضباط المتخصصين في الشؤون الزيانية، حقائق فيما يتعلق بالإمكانات العسكرية المتوفرة لدى المقاومة، يقول

نحن الذين تخيلنا أن موحا وحمو يمكن أن يتوفر على جيش نظامي، لما رأيناه من دهاء لدى الزيانيين في إدارة المعارك والمناورات في القتال، و الواقع أن مجموعاته كانت تضم نواة قوية، غير أنه لم يكن أبدا يتوفر على جنود بالمعنى الذي نعطيه للكلمة (27).

ماهي هذه النواة التي يتحدث عنها le Glay؟ يبدو أنه يشير إلى عشيرة القائد المتكونة من الأولاد وأبناء العمومة، والأقارب المقربين، الذين كانوا يشكلون بطانته، وهي العشيرة الأمحرانية التي أوصلته إلى منصب الأمغار في نهاية القرن التاسع عشر، وأزرتة بعد ذلك مع الحملة السلطانية ليبسط نفوذه على مجموع قبائل زيان.

يأتي بعد ذلك الحرس الخاص للقائد أو ما كان يسمى "بالشناكطية" (28)، وهي قوة تتألف من ثلاثمائة رجل ، يحيط بها القائد نفسه ، ويهاجم بها كل من يناوئه، أو يخالف أو امره، وهؤلاء الشناكطية هم الذين وصفهم Le Glay بـ المحاربين (29).
يضاف إلى ذلك بعض العناصر من الحملة التي بعث بها السلطان مولاي الحسن إلى موحا وحمو ليركز الأمن بأغوار الأطلس ، فعلى إثر الحوادث و الاضطرابات التي اندلعت في فاس بعد توقيع عقد الحماية ، تتوسيت الحملة الخنيفية ، ولم تعد تتوصل بمؤونتها ، فتفككت وتشتت شذر مذر ، فمنهم (أي الجنود السلطانية) من تزوج واستقر بزيان بصفة نهائية ، ومنهم من طلب الاندماج في حرس القائد ولكن ما هو عدد المقاتلين الزيانيين الذين واجهوا الهجوم على مخيم لهري ؟

المصادر (30) لا تسعفنا في الإجابة على هذا السؤال بشكل دقيق، غير أن F.Berger ، يشير إلى أن هؤلاء العناصر كانت منظمة على شكل مجموعات صغيرة أو ما يسميه بـ (D'jich) ، يتراوح عددها بين 25 و 30 مقاتل، تحت قيادة أبناء القائد ، ولكنه لا يقدم أرقاما مضبوطة حول أعداد هذه الجيوش أما J.Le Prévost (31)، فيوضح أن حرس القائد كان يتكون من خمسمائة رجل ، اختيروا من العناصر القوية و المحاربة، وسلحوا أحسن

تسليح ، ولكنه يدمج في هذا العدد عشيرة أمحزون ، و الحالة هذه انه لا يمكن أن نتصور أن جميع أعضاء العشيرة الأمحرانية كانوا مقاتلين ، ومن ثم يصبح عدد خمسمائة مبالغا فيه.

ومهما يكن ، فإن هؤلاء المقاتلين ، سواء كانوا من الشناكطية أو من عائلة موحا وحمو أو من بقايا الحملة السلطانية ، هم الذين كان الفرنسيون يسمونهم بـ الجيش النظامي (Les réguliers de Moha ou Hamou)

المصدر الثاني الذي تجلب منه المقاومة مقاتليها هو القبائل التي تشكل خزاناً كبيراً، فكلما نادى القائد بالجهاد إلا ولبى الناس دعوته بنشاط، وتوافد عليه متطوعون من القبائل البعيدة و القريبة، وكل الذين يتطلعون ، ويطمحون في استرجاع حريتهم ، وهذا ما وقع بعد احتلال خنيفرة ، يقول الضابط كُنون وهو يتحدث عن استعداد موحا وحمو لحصار المدينة:

" لم يجد موحا وحمو أدنى صعوبة في إقناع زيان بأن الله غاضب على وجود النصارى بخنيفرة ، وأنه في انتظار انسحابهم المرتقب ، فإن واجب كل مسلم هو إقامة حراسة مشددة حول ثكنة خنيفرة وجميع المراكز الأخرى ، استعداداً للانقضاض عليهم ، عندما يأذن الله بذلك (32).

أما بالنسبة للسلاح ، فلم يكن المجاهدون يتوفرون إلا على أسلحة بالية، يعود تاريخها إلى نهاية القرن التاسع عشر، أو على قطع صغيرة من الأسلحة الحديثة ، استطاعوا شراء ها بأموالهم الخاصة، عن طريق التهريب (33).

ولما بدأ الجهاد عمل القائد على تسليح زيان، معتمدا على ما كانت المقاومة تغنمه من أيدي أعدائها الاستعماريين ، وهكذا لم يتعرف الزيانيون على البنادق الحديثة مثل Mauser و Winchester و 86 Lebel- التي كانوا يفضلونها لأنها تحشى بثمان رصاصات - و Gras، و Martinis إلا باحتكاكهم مع القوات الاستعمارية ويسجل P.Belot في كتابه trente ans de baroud حقائق عن الكيفية التي كان الزيانيون يعتمدونها للإستيلاء على الأسلحة لتأمل هذه الشهادة التي لا تحتاج إلى تعليق

هؤلاء المردة المغاربة كانوا يتسللون تقريبا كل ليلة إلى داخل المعسكر (الفرنسي)، فيسرقون منه البنادق بعد قتل الحراس، كانوا يتسللون إلى داخل المعسكر عراة ، بعد أن يطلوا أجسامهم بشحم ابن أوى، الذي لرائحته خاصية تخدير الكلاب ، ولم يكن للواحد منهم سلاح سوى خنجر حاد ولا يحدثون بحركتهم أكثر

مما تحدثه عادة ،ورقة يابسة في الريح ، فلا أحد منا يراهم ، ولا أحد يسمعهم ، وينجحون دائما تقريبا في أعمالهم (34).

ويضيف J.Le Prévost.

هنا في خنيفرة ، تعرف المحاصرون على جرأة وحيلة هؤلاء الأشرار الذين لا تخيفهم لا القنابل و لا الرشاشات ، و الذين كان همهم الوحيد أولاً وقبل كل شيء هو التزود - على حساب المحتل - بأسلحة عصرية ... كانوا يتسللون ليلا إلى داخل المعسكر المتكون من آلاف الرجال ، فيذبحون الحراس سرا ، ويقطعون الأسلاك الشائكة بكل هدوء كما كانوا يتوغلون تحت الخيام ليسرقوا البندقية المربوطة مع ذلك في معصم رجل ، و يسرقون حتى الخيل و الشعير (35).

وفي ميدان التدريب ، اكتسب الزيانيون مهارات عسكرية، وروحا قتالية عالية من خلال الحروب التي خاضوها في الفترات الغابرة (36)، ومن خلال عملية الإنتاج التي تتطلب دوما الدفاع عن المراعي، أو الإستزادة منها، حتى أن القبيلة كانت كما يقول Masqueray بمثابة

فيلق في تعبئة كاملة (37).

فهم جند مستعدون للدفاع عن كيانهم ، إذا فاجأهم العدو على غرة، ومن جهة أخرى عني الزيانيون بالفروسية منذ أمد بعيد،

حتى اشتهروا بها، وكان الرجل البسيط - على قلة يده - يملك فرسا (38)، وكانت هذه الفروسية سببا من أسباب تفوقهم على غيرهم، كما كانت أداة لإخضاع القبائل لنفوذ القائد، ومن ثم لسلطة المخزن (39). زد على ذلك قوة الأجسام، ونشأتهم على شطف العيش والمصارعة، وسباق الخيل، و الرمي (40)، وقد استغلوا هذه المزايا بنجاح، وخاصة قوة الأجسام في المعارك التي كانت تدور وجها لوجه حيث كانت تستعمل فيها السيوف، و الرماح والحرب، ولاسيما الخناجر على أنواعها (41)، وقد أشاد الجنرال كتيوم - الذي كان يومها شابا ، شارك في معارك الأطلس - رغما عن أنفه، بشجاعة المحارب الأمازيغي صراحة حيث قال

إن استهانتته بالموت كان يقوي كبريائه ... إنه محارب

لا مثيل له ... المتفوق بلا شك في أفريقيا الشمالية (42).

ويعرفه Gavin Maxwell الإنجليزي، في كتابه EL

Glaoui dernier seigneur de l'Atlas. ، بقوله

كانت المدافع لا ترهبه، و لا توحى إليه بأي خوف، وكان دوي الطلقات النارية تستهويه كما يستهويه تجمع طبيعي، كان ينقض منتصبا نحو فوهة الرشاشة، كان بالنسبة للفرنسيين العدو المرعب و المفزع الذي يملك خبرة طويلة في فن الكمائن و الهجومات الخاطفة (43)

أما المنصوري الذي عاش طفولته وشبابه في زيان، فيقول
وإنما هو جيل من البربر هائج، وفي غمرات حروبه رائج
هائج، اعتزازه بصارمه المبير وفرسه المغير، فخره بالشجاعة
والإقدام إذا افتخر غيره بالمحابر و الأقلام (44).

ويضيف في موضع آخر - وبمناسبة الزيارة التي أعادت
إليه ذكرى الصبا و الشباب في الأطلس الفينان - أنشد في إحدى
قصائده يقول

عرانين في أنسابها من برابر * * لصنهاجة أولى السيوف الشعاشع
أعزاء في أحسابها إن يهب بها * * غيوث لدى النكبا ليوث الوقائع (45).
كما تذكر المصادر المغربية أيضا أن زيان كانوا من أشد
القبائل الأطلسية شكيمة وأصعبها انقيادا، لا تهتك لهم حرمة ولا
تخفر لهم ذمة (46).

غير أن الذي احتفظ لهذه المقاومة بحيويتها الكامنة هو
عقيدتها القوية العميقة التي لم يستطع الاستعمار قتلها على الرغم
من جهوده الفكرية و الروحية و الاجتماعية و السياسية، هذه العقيدة
التي تدعو إلى الجهاد لتحقيق الحرية و الاستقلال ، وعدم الخضوع
للمحتلين أيا كانت قوتهم المادية، لأن القوة المادية لا تخيف
المجاهدين في سبيل الله كما جاء على لسان الأعداء أنفسهم :

إن الخطر الحقيقي كامن في الإسلام ، وفي قدرته على التوسع إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي (47).
إن هذه العقيدة الحية هي التي بعثت الحياة في شرايين المجاهدين الأفذاذ بعثا جديدا. و من يدرس المعارك التي خاضوها، منذ أن بدأت فرنسا تقطع أطراف المغرب، في العقد الأول من القرن العشرين ، يجدها تستند أصلا إلى هذه العقيدة هذه حقيقة لامراء فيها ، تستحق أن نقف عندها وقفة تأمل، لكي ندرك قيمة هذه العقيدة في مقاومة الاحتلال ، ولكي ندرك أن الاستعمار لم يكن عابثا عندما حاول تحطيم هذه العقيدة في المناطق الأمازيغية أولا ، بتأسيس ما أسمته فرنسا ب المدارس الفرنسية البربرية "، وهي مدارس كان يراد منها احتواء حركة الجهاد الأمازيغي التي اتخذت من جبال الأطلس معقلا لها (48).
وما قدره الاستعمار كان حقا ، وقد وجد حقا، فقد تأجبت جذوة الجهاد بفضل هذه العقيدة، وكانت مشعلا وهاجا أضاء طريق أصحاب العقيدة في الله، وهم يقودون الصفوف المكافحة ضد الاستعمار، " فكانت لهم بذلك المكانة السامية و المرتبة العظمى في الذب عن حوزة الإسلام ومكانته العالية بدمائهم النفيسة الزاكية، وأموالهم الطائلة الكثيرة الغالية في استماتة لأقصى حد، وصبر

على مضض عيش لغاية جهد ، حتى ذبلت منهم الوجوه وتغيرت
البشر، وبلغوا غاية لا يستطيع البشر العيش معها عادة..."(49).
لقد كان شعار المقاومين في ظل العقيدة الإسلامية (" قل هل
تربصون بنا إلا إحدى المحسنين"، سورة التوبة/52) النصر أو
الشهادة .. في ظل هذا الجو المفعم بالإيمان تلقى أهل قرية الهري
هجوم الجيش الفرنسي يوم 13 نونبر 1914.

3- معركة لهري الأولى و الاستيلاء على المخيم.

لم نعتمد على الرواية الشفاهية التي تحكي عن المعركة إلا
بشكل جزئي نظرا للصعوبات التي اعترضتنا خلال تجربة أولية
مع بعض العناصر التي كانت مشاركة أو عاصرت بعض الأحداث،
أو سمعت عنها. فجل الروايات كانت تأخذ منحى سياسيا، مع
تضخيم للمساهمة الفردية للعناصر المستجوبة، لهذا بدا لنا من
الضروري ألا نستند إلا على مؤلفين، كانوا شهود عيان لأحداث
التي يروونها أمثال القبطان الجزائري سعيد كنون الذي يروي -
خبر معركة لهري على مدى عشرين صفحة في كتابه الجبل
البربري"، والجنرال كيوم الذي تحدث عن الواقعة باقتضاب،
محملا أسباب الانهزام للكولونيل لا فيردور، أما J.Pichon ،
فيعتبر المصدر الوحيد الذي خص الواقعة بمؤلف كامل، في مائة
وثمانية وثمانين صفحة، ولم يكتف بدراسة معركة لهري بتفصيل،

بل وضعها في إطارها التاريخي، فقام بالتطرق لغزو زيان وما نتج عنه من ردود فعل المقاومة، وتناول بالتحليل نتائج المعركة بالنسبة لفرنسا.

وبالرغم مما في هذا الكتاب من التحيز البين للأطروحة الاستعمارية، فإنه يعرفنا بأطوار المعركة وجوانبها المختلفة. هذا بالإضافة إلى تقارير ومذكرات الضباط، وخاصة تلك التي كتبها الجنرال هنريس و المارشال ليوطي.

أما مؤرخنا، أحمد المنصوري فيعتبر الوحيد - من بين المصادر الوطنية - الذي وضع الحادثة في إطارها الزمني، بشيء من التوسع، إذ خصص حوالي 11 صفحة للواقعة التي تميزت بمزجها البعد التاريخي بالبعد الملحمي

وعند قراءة هذه المؤلفات المختلفة، تبدو المعركة التي دارت رحاها على ضفاف وادي اشبوكة واضحة الملامح، إذ يسهل وصف الأطوار الرئيسية للمواجهة بدقة كبيرة، لأنها لم تتخذ بعدا أسطوريا، ولم يمتزج فيها الواقع بالخيال نظرا لقربها منا ، وقد حاول مؤلف كتاب "لهري"، وهو شاهد عيان كما أسلفنا، صياغة هذه الواقعة صياغة تاريخية بالرغم من أن بعض الأحكام لن ترضي الطرف المغربي كليا.

كيف تم الهجوم؟

غادر الجيش الفرنسي مدينة خنيفرة حوالي الساعة الثالثة صباحا من ليلة 13 نونبر 1914، بعدما قسم الكولونيل Laverdure قواته إلى أربعة طوابير:

مجموعة الكومندار Durmelat الذي كان يسير معها قائد الحملة ومعاونوه الاقربون، ثم مجموعة القبطان Hornecker ومجموعة colonnà de lecca، وفي المؤخرة مجموعة Fages. عبر الكولونيل القنطرة التي تفصل خنيفرة إلى شطرين، وفي حسابه أن الطريق أمامه سهل معبد، إذ ليس في المخيم الزياني سوى 300 من المسلحين بتسليح رديء، وأن القبائل في شوق لانتصار قوات الإحتلال للانعقاد من الأسرة الأمحرانية، وبمجرد خروجه من المدينة توجه نحو الجنوب في ظلام حالك.

كانت التعليمات الحربية التي أصدرها Laverdure تطبق بدقة وصرامة متناهيتين، حيث لم يسمح للجنود باستعمال الفوانس والمصابيح، الأمر الذي جعلهم يتلمسون طريقهم تحت هذه الظلمة، وهم يخطون خبط عشواء، فوق أرض مبللة بالأمطار التي لم تتوقف إلا منذ يومين (50).

اجتاز الجيش المغير نهر بوزقور (51) واضطر إلى وقفة لأن حجم مياه النهر كان مرتفعا نسبيا ولأن الطريق ضيقة، وبعد قليل استأنف سيره ليتوقف مرة أخرى حوالي الساعة الرابعة

والنصف صباحا، وعلى بعد خمسة كيلومترات جنوب شرقي خنيفرة، لتأخذ كل مجموعة من الجيش مواقعها استعدادا للهجوم. أخذت المجموعة الثالثة التي كان يرأسها الكومندار Colonna de Lecca مواقعها على الطريق المؤدية إلى قرية لهري، وقد أسند إليها دور تعزيز ودعم الفرق الأخرى، أما المجموعة التي يقودها النقيب Hornecker، فقد توجهت غربا من نقطة التوقف، ثم انحرفت جنوبا، وواصلت سيرها على خطوات الخائنين عمر وأخيه، إلى أن أشرفت على مخيم لهري، من فوق مرتفع، وفي نفس الوقت تقدمت المجموعة الأولى والمجموعة الرابعة، تحت قيادة الكومندار Durmelat والقبطان Fages إلى الأمام، وفق الأوامر الصادرة من الكولونيل (أنظر الخرائط).

وما كاد الخيط الأبيض من الفجر يبرز ويرسل أشعته على دواوير المخيم (حوالي الساعة الخامسة وخمسة وأربعين دقيقة) حتى كانت مجموعة Durmelat تعبر وادي شبوكة، وتصل إلى قرية لهري، في حين كانت عناصر مجموعة Hornecker تتقدم وهي تتسلق التلال المطلة على الطريق الرئيسية المؤدية إلى لهري.

وفي هذه الأثناء كان معظم سكان المخيم، لا زالوا مستغرقين في نومهم، وكان السكون يخيم على القرية لا يسمع إلا نباح الكلاب، الذي كان يكسر من حين لآخر هذا الهدوء الصباحي و الذي كان يزداد حدة بين الفينة و الفينة، وكأنه شعر بالخطر الذي يداهم المخيم (52)، ومن مسافة بعيدة بدا الدخان المتصاعد من الدواوير يعلو في السماء ، ويمتزج بالضباب الذي كان يغطي جبال زيان في نهاية هذا الخريف (53).

كان القائد موحا وحمو قد أقام هو واتباعه من الأولاد والأعمام والأحفاد بخيلهم وأبقارهم التي تعد بالمئات وبأغنامهم التي تعد بالآلاف (54)، في منطقة لهري لقضاء فصل الشتاء بعيدا عن قر الجبال، وكان معظم الزيانيين قد حذوا حذوه، ونزلوا من صياصهم إلى منتجعات لهري هربا من الثلوج التي بدأت تكسو جبالهم (55).

كان هذا المجتمع الرعوي يعيش عيشة بسيطة، كما كان الأمر قبل مجيء الفرنسيين، ورغم الحرب التي خاضتها المقاومة ضد المستعمر، والتي تركت أثرها على القبيلة بسبب استشهاد كثير من أبنائها، فإنها استعادت عافيتها وحيويتها، واستعدادها لمواصلة الحرب.

كان المخيم - عندما داهمته القوات الفرنسية - يتكون من خمسة دواوير خيمة القائد الزياني، وخيام أتباعه المنصوبة على هضبة بين سهل تومليلين وبين الطريق المؤدية إلى قرية لقباب، أما الدواوير الأربعة الأخرى، فكانت موزعة على ضفتي نهر شبوكة الذي غدت مسالكه صعبة بسبب ارتفاع منسوب المياه.

غير أنه رغم هذا العائق الطبيعي لم يتراجع Laverdure بل أصرّ على تنفيذ الهجوم مهما كلف الأمر، وهكذا ، وحوالي الساعة السادسة والنصف كانت مجموعة Durmelat تعبر النهر ثم تبعتها مجموعة Fages ومعها الكولونيل، وفي ظرف وجيز، كانت المجموعتان على بعد مائتي متر من الخيام الأولى. وعلى التو انتشرت عناصر المشاة التي يقودها الكومندار Durmelat رافعا سيفه، ليقتذف بفرسانه وسط المخيم ، وفي نفس الوقت انقض الكُوم والمخازنية بدورهم على الخيام، وهاجموا على يمين الفرسان(56).

كانت المفاجأة كبيرة داخل المخيم الزياني عندما صبت المدفعية قذائفها على القرية، ونشرت فيها الرعب، حيث خرج الزيانيون مصعوقين ومذهولين، لم يتمكنوا من أخذ أسلحتهم وامتطاء خيولهم (57)، وارتفع الصراخ والعويل من كل حذب وصوب. فقد داهمهم الجنود فجأة ، شاهرين مسدساتهم ورشاشاتهم

وأحدثوا بلبلة واهلعا كبيرا ، وقد لخص القبطان سعيد كنون هذه
البليلة بقوله

" نفذ الهجوم حسب التعليمات ، وكانت مفاجأة العدو كبيرة، حيث
استيقظ الزيانيون تحت وابل من نيران الرشاشات و المدفعية،
وفروا مذعورين في جميع الإتجاهات ، تاركين لجنودنا متاعهم
وثرواتهم (58)

واضح إذاً أن الهجوم نجح تماما، وتشتت المعسكر
الزياني شذرمذر، غير أن الجيش المغربي لم ينجح في اختطاف
زعيم المقاومة الذي كان مستهدفا. يقول أحد الضباط:

ما أن عبر الجيش الفرنسي واد كرو حتى غادر موحا وحمو
ساحة القتال ، تاركا وراءه خيمته الرائعة التي تصدر منها
التعليمات والأوامر لأتباعه (59).

لقد أدرك الزعيم الزياني - عندما رأى الغزاة يقتحمون
المخيم ، ويتجهون صوب خيمته على خطوات قرني الشيطان، عمر
وأخيه أن الهجوم الذي يقوده الكولونيل Laverdure قائد حامية
خنيفرة ، إنما يستهدفه شخصيا وتقول الرواية الشفاهية أنه نجا
بأعجوبة، واستطاع - عندما أخبرته إحدى خادماته بقدوم المغيرين -
أن يمتطي جواده بسرعة فائقة، بمساعدة ولديه باعدي وبوعزة اللذين
ما أن أحسا بالخطر يهدد والدهما حتى أسرعا نحو مربط الخيل

ورفعاه على صهوة جواده متجها نحو الجنوب. وقد حاولت كوكبة من فرسان العدو ملاحقته، لكن البطلين المذكورين تصديا لها ودافعا عن شرف والدهما حتى اختفى في منعرجات هضبة مزكوشن، أما المصادر الفرنسية فإنها تعزو نجاة القائد إلى أمور أخرى منها

- أن Laverdure أصابته الدهشة عندما وجد نفسه وجها لوجه مع المقاومين، وهم يحاولون الدفاع عن أنفسهم، خلافا لما كان متوقعا، الشيء الذي لم يمكنه من ترتيب وحداته حسب هذه المعطيات الجديدة

- أن الهجوم تم في واضحة النهار، ولم يتم مع بزوغ الفجر وبشكل مفاجيء كما كان مخططا له، وبذلك فقد طابع المباغثة.

- أن الغزاة لم يستطيعوا محاصرة المخيم من جميع الجهات لأنه كان يتكون من عدة دواوير متباعدة فيما بينها.

ومهما يكن، فإن هذه التبريرات لم تؤثر على الخطة الحربية التي رسمها Laverdure ونفذها بعناية كبيرة، الشيء الذي جعل الزيانيين، وبخاصة العجزة و الأطفال و النساء، يتعرضون لمجزرة مروعة، لم يستطع مؤرخو الاستعمار إخفاءها. ورغم أننا لا نتوفر على أرقام تعطي فكرة حول المذبحة، ولا على إحصاءات مضبوطة، فإن الخسائر في الأرواح والأضرار الجسيمة في الممتلكات كانت كبيرة. فلا شك أن إطلاق النار من كثب، على

سكان المخيم العزل ، الذين لازال معظمهم مستغرقا في نومه، وعلى غير هدى ،أحدث خسائر كبيرة وسط كل الذين لا يقدرّون على الهرب. كتب أحمد المنصور يقول

أطلق الجيش شنايب بنادقه النارية على الحلة بما فيها ،ورمتها رمية رجل واحد ،سقطت فيها النساء والأطفال فضلا عن الرجال
الأبطال (60)

وأثناء التقتيل الذي زاد رعبا وهلعا في المخيم ، قام الكُوم بتجميع القطيع وتوجيهه إلى خنيفة ، وقصد الخائن عمر وأخوه المتعطشان للانتقام من خالهما خيمة القائد ، ودون ضياع الوقت، استولوا على اثنتين من نسائه ، كما استولوا على صندوقين من النقود ، وتراجعا نحو الخلف (61). ولم يقف المغيرون عند هذا الحد ، بل أضرّموا النار في الخيمة حسدا من أنفسهم، وكذلك فعلوا بخيام الأعيان الزيانيين المجاورين للقائد، و لندع J. Le Prévost يصف لنا هذا النهب ، يقول:

لقد تم نهب جميع الخيام بدون شفقة ، كما تم إفراغها من النساء، وقد استغرق هذا النهب أكثر من ساعة، ونزل الفرسان عن دوابهم لحمل الغنائم عليها" (62)

إن ما يفسر السعار الذي بدأ به الهجوم والتصرف القاسي للمحتل ، ووحشيته وإهانته لكرامة الإنسان هو تلك النزعة الصليبية

التي يحملها الفرنسي في أعماقه ، وإن المغاربة الذين عاشوا تلك الفترة يعرفون أن الاستعمار الفرنسي مقرون بالاستبداد والقسوة والكبرياء بسبب بغضه للإسلام ودون أن نعود إلى القرون الوسطى التي تزعمت فيها فرنسا الحروب الصليبية، نكتفي بالإشارة إلى أنها اعتبرت الإسلام الجدار الوحيد الذي كان يحول بينها وبين استعباد الناس ، وقد زاد هذا العداء عندما ناداها راهبها Charles de Foucault في نهاية القرن التاسع عشر، بضرورة تنصير المسلمين في شمال أفريقيا، وقد استهوتها هذه الأطروحة، وبذلت في سبيلها جهودا مضنية، اعتقادا منها أن نشر المسيحية في ربوع المغرب هو الكفيل بضمان السيطرة والبقاء، فظلت تضرب وتضرب للقضاء على الإسلام لأن الإسلام هو الذي يهدد وجودها.

إننا، حينما نؤكد على الجرائم التي اقترفها الاستعمار الفرنسي سواء في لهري أو غيره، إنما نريد فقط أن نرسم صورة قريبة لخطة الفرنسيين في محاولة تخلصهم من أعدائهم المسلمين. إن الذي كان يقلقهم بشدة هو تشبث هؤلاء الأمازيغ بالإسلام واستعدادهم للتضحية بأرواحهم في سبيل عقيدتهم خصوصا وأنها (أي فرنسا) كانت ترى فيهم أقرب الناس إلى استيعاب ثقافتها وحضارتها .

بهذا الاكتساح العسكري الشامل و النهب المنظم، اعتقد Levardure لما انتصر تلك الساعة أنها النهاية بالنسبة لزيان، وأن المقاومة انهزمت وباد أهلها. وهذا شأن أهل الريب و الشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة، ولكن لنتساءل هل كان انسحاب موحا وحمو من القتال ساعة الاكتساح فرارا من المعركة ؟ هل كان في إمكانه التصدي للغزاة لو بقي في المخيم ؟

4- معركة لهري الثانية والنصر المبين .

كان موحا وحمو رجلا واحدا ، أركان حربه أبناؤه وحفنة من شيوخ زيان، لم يتخرج أي منهم من المدارس العسكرية الأوروبية، ولكنهم كانوا يتميزون بشجاعة نادرة وحضور بديهة ، وتجاوب مع الأحداث. فقد درس المكان الذي ستشهده المعركة، وخطط تخطيطا محكما، استهدف جر الغزاة إلى المكان الذي يريده لمواجهةهم فيه، فتركهم يتوغلون داخل المخيم لحرمانهم من الإمدادات التي يمكن أن تأتيهم من خنيفرة ، تماما كما فعل السلطان عبد الملك السعدي عندما استدرج جيش الإمبراطور البرتغالي دون سبستيان إلى داخل البلاد. ولما توغلوا جيدا في شعاب لهري وأوديتها، خرج من مخبئه في هضبة مزكوشن وعاد إلى ساحة القتال.

وقبل أن يقذف بالمجاهدين في ميدان المعركة، انطلق الرقاصون يستنفرون القبائل الأطلسية، وأشعلوا مواقيد على المرتفعات، هي عند هؤلاء الأمازيغ أشبه ما تكون بناقوس الخطر وبيانا بالحرب (63)، وأخذت طوائف المتطوعين - لمساعدة زيان في القتال - تتوافد على لهري التي أحكم الفرنسيون من حولها الحصار. متطوعون ، يقول عنهم سعيد كنون أنهم جاءوا من مختلف القبائل الأطلسية حتى اجتمع في لهري جم غفير (64).

لقد استنفردوي المدافع معظم القبائل في الجبل ، ونزلت من كل حذب وصوب، نحو ساحة المعركة، وهكذا وفي ظرف ساعات قليلة وفد المجاهدون من وادي سرو القريب، ومن منحدرات هضبة مزكوشن وتابويشت، و شرقي لهري، عبر أودية بوزقور وأروغو(أنظر الخريطة)، كما وفد المتطوعون من اشقيرن، وأيت اسحاق الذين وصلوا إلى ساحة القتال عبر تاجموت (65)، ومن أيت سكوغو عبر أم الربيع، بل وحتى من أيت مكيلد البعيدة (66)، فضلا عن الزيانيين الذين لم يهنوا لما أصابهم من الغم بسبب ما تعرضوا له من القتل، ولم يضعفوا حينما علاهم النصارى فوق التلال، وقتلوا أطفالهم وشيوخهم ونساءهم، ولم يستكينوا أمام منجزرات عدوهم، بل صبروا، وقالوا و الله لنقاتلن حتى ننتصر أو نموت في سبيل الله.

إن الذي يفسر تدفق جماهير الفلاحين على لهري يوم 13
نونبر هو روح الجهاد في العقيدة الإسلامية ، إنه الإيمان و الإيمان
وحده الذي خالط سويداء قلوبهم ، وتفوق على الأنظمة العسكرية.
فقد كان الإسلام في المقاومة المسلحة المغربية الأداة الرئيسية، إن
لم نقل الوحيدة في التعبئة على المستويين الفكري والروحي
لمواجهة كل أشكال وأنواع الاحتلال الأجنبي. فباسم الإسلام وعن
طريقه وبواسطته استنفرت القبائل، واستنهضت الهمم، وتوالت
التضحيات، وسالت الدماء لتحرير الأرض الإسلامية من دنس
المحتلين والغاصبين، وباسم الإسلام جاءت الجموع الغفيرة إلى
لهري لتعلن للغزاة أنها تقف ضد التجزيء والتفكيك، وضد
الاستلاب الثقافي والاعتداء اللغوي والحضاري.

هكذا إذا لعب الإسلام دوره في منازلة الأعداء ، وعاد
المجاهدون الزيانيون إلى ساحة القتال ، وانضمت إليهم القبائل
المجاورة وانطلق موحا وحمو في نضاله لا يكل ولا يمل، يحرض
على الصمود ، وأخذت المعركة وجهها آخر.

ففي الوقت الذي كان فيه Laverdure ينظم أمر الانسحاب
ظاناً أنه أدى المهمة عن آخرها، وبدأت الوحدات الأولى للجيش
المغير ترجع القهقري، في هذا الوقت بالذات كانت مجموعة
Durmelat قد حاصرها المقاومون انطلاقاً من تلال ايمزينتن، ولم

تتمكن من الاعتماد على مساندة مجموعة Fages ،التي أصبحت بدورها محاصرة من جميع الجهات.

بدأ رد فعل المقاومة عنيفا ، فقد هاجم رجالها كأسد ينقض على فريسته، وقاتلوا قتال الأبطال، وأطلقوا النيران على أعدائهم حيث تعرض سلاح فرسان العدو لخسائر كبيرة، واصبح عسيرا على المغيرين أن يتراجعوا رغم ما بذلته فرقة Colonna de Lecca لفك الحصار على مجموعتي Fages و Durmelat، كتب سعيد كنون يقول

ما أن أعلن الانسحاب حتى انقض زيان على قواتنا بغضب شديد. وكانت مؤخرة الجيش التي فوجئت بهجوم عنيف قد تمكن منها العدو وتعرضت في طرفة عين لخسائر فادحة" (68). في هذه الأثناء كان ضغط المقاومين يزداد في كل دقيقة. فقد استولوا على رشاشات الجنود السنغاليين، وهاجموا ناحية المدفعية التي كانت تحصدهم حصد الهشيم منذ الصباح الباكر، وتمكنوا من تدميرها وقتل مستعمليها (69)، واستمر الحال على ذلك وحوالي العاشرة تبين للكولونيل أن معظم ضباطه قتلوا أو جرحوا، يقول كُيوم:

كانت تنصب الطلقات النارية على الجيش من كل جانب،

وقد جرح القبطان Hornecker ، فسلم القيادة ل FAGES

الذي جُرح بدوره ، فتولى الكومندار Colonna de Lecca القيادة ، لكنه أصيب هو أيضا برصاصة، فسقط جريحا" (70). غير أن الذي أظهر حالة الإنهزام لدى العدو هو خطاب الإستغاثة الذي بعث به Laverdure إلى القبطان Croll ، المسؤول على حماية خنيفة، يقول فيه

أسرعوا بسريرتكم لاحتلال " تلال تادلة " ، و أرسلوا وحداتكم إن كانت جاهزة ، فإن خلاصنا ونجاتنا بأيديكم (71) ولكن قبل أن يصل هذا الخطاب إلى خنيفة، كان جيش العدو قد تاه في مجاهل البرية ، تلتقطه أسنة الفرسان على حد قول أحمد المنصوري (72).

ولم تكن المرأة الزيانية لتغيب في مثل هذه الأحداث الجسام. فقد خرجت لتموين المقاتلين بالزاد وتوزيع الذخيرة ، تحت وابل الرشاشات (73)، وإذكاء حماس المقاومين بترديد بعض المواويل عندما يشتد قصف العدو مثل

أثاث إرومين إعداون نربي ذا رسول الله دوياث غر ذات ،
هاتين ونايموثين كالجهد إذا غرجنت إزايد العز إيايثماس (74)
ومعناه

اضربوا يا رجال أعداء الله ورسوله
تقدموا إلى الأمام، من مات مجاهدا

كانت الجنة مأواه، وزاد العز لإخوانه

بل والمشاركة مع الرجل جنبا إلى جنب، حيث كانت في بعض الأحيان تأخذ مكانه في حالة استشهاده، كما كانت تهجو كل من قيل لها إنه جبن أمام العدو، أو أحجم إحجاما عن القتال، ومن أمثله ذلك كانت تقول

الشجعان وحدهم يعرفون كيف يتحملون ويكابدون (75).

غير أن دورها الفعال، برز على الخصوص في معالجة الجرحى، فقد احتفظت لنا ذاكرة التاريخ بأسماء نساء عديدات خاطرن بأنفسهن من أجل إغاثة المصابين أثناء المعركة ومساعدتهم. فقد أورد أحد المشاركين في هذه الواقعة وهو معمي ولد الحاج حدو مايلي

أصبت بطلقة نارية في بطني .. سقطت منها أمعائي ... فما أن سقطت من أعلى الفرس حتى وجدت أمامي أختي، وهي تساعدني في إرجاع الأمعاء الخارجة. فحاولت إرجاعها بيدها بكل جهد فلم تستطع، فبينما هي على تلك الحال، إذا بأحد الجرحى الساقطين بمقربة منا، ينادي عليها نداء يهمسه من شدة الألم، حتى دنت منه، فقال لها، ارفعي رجلية، وادفعي الأمعاء بيدك الأخرى ترجع لمحلها... "(76)

المرأة الزيرية لا يشغلها عن الجهاد أي شغل شاغل، فالأرض المحتلة هو همها الأول والأخير، إنها في معركة لهري تظهر من خلال شخصية سامية نموذجاً للإنسان، فلا وجود للمرأة العواطف أول المرأة التشيء، فابنة الحاج حدو المذكورة، شابة تستخدم شبابها وفنونها لغاية نبيلة هي الجهاد وتحرير الوطن، وهي بذلك تكون نموذجاً للمرأة المسلمة المجاهدة.

لقد أحدث اختفاء الضباط من ميدان المعركة بليلة وارتباكاً في صفوف العدو، وتعرض معظم الجيش للقتل، وحاولت فلوله الهرب من المعركة، فمنهم من اتجه غرباً نحو وادي بوزقور بحثاً عن ملاذ في أشجار الدفلى (77)، ومنهم من تشبث بأذيال قافلة الجرحى، التي كانت تحاول العودة إلى خنيفرة، ولكن المجاهدين عرقلوا محاولة التراجع هذه، حوالي الساعة الثانية عشرة، ذلك أن في هذه الأثناء انضم إلى المعركة بعض أحفاد القائد الزيري، وهم موحا وعقّى ولد الحاج حدو، وأخوه بن عقى، الذين جاءوا من أروكو (78)، على رأس متطوعي آيت شارظ، وآيت خوي، وآيت بوهو، وقطعوا خط الرجعة على الفلول الفارة، وحطموها عن آخرها، في قتال انتهى وجهاً لوجه، مات فيه Laverdure نفسه (79)، فكانت العاقبة للمتقين ولجند الله المسلمين.

لقد انهار الجيش الفرنسي وانهزم شر هزيمة حيث تحول إلى جثث من القتلى والجرحى، منتشرة على أرض لهري الصغيرة، وإلى بقايا تحاول الفرار، والمقاومون في أثرهم يضيقون عليهم سبل النجاة. كتب G.Martinet مقالا قال فيه:

في بداية هذا القرن اشتهر موحا وحمو، زعيم زيان بالدفاع عن حوزة الأطلس المتوسط، إن هذا المقاوم الجموح، كبد فرنسا أكبر كارثة عرفت في فترة الاستعمار "(80). وقال المرشال ليوطي في برقيته لحكومته.

لم يسبق لفرنسا في تاريخها العسكري أن منيت بمثل هذا التدمير في قوة هامة من قواتها، وخسرت مثل هذا العدد من ضباطها ، وأضاعته مثل هذا القدر الكبير من عتادها" (81) وأما الجنرال كيوم، فقد أحصى الخسائر وعلق عليها قائلا من مجموع 1232 جندي و43 ضابطا التي كانت السرية تتكون منها قتل 33 ضابطا و 590 جنديا، وجرح 176 رجلا منهم 5 ضباط. فمن الثلاثة و الأربعين ضابطا الذين شاركوا في المعركة لم يسلم إلا خمسة، كان من بينهم أربعة فرسان، ولم يسترجع من الجثث إلا أربعين جثة، حملت إلى خنيفرة. وهكذا استولى المتمردون على جميع المدافع وجميع الرشاشات وعدد كبير من البنادق.

إن جيشنا لم تصبه قط - في إفريقيا الشمالية - فادحة كالتّي
أصابته في معركة لهري .(82)

ومن جهته قال بيشون محصيا الخسائر في الدواب
كانت الخسائر في الدواب كبيرة، فقد أحصينا 40 فرسا لسلاح
المدفعية، من أصل فرنسي، و 18 فرسا من أصل مغربي، وأربعة
أخرى لضباط المشاة، و 32 بغلا للحمل و 26 أخرى تابعة لسلاح
المدفعية (83)

ويقر كيوم (84) إضافة إلى هذا أن زيان أخذوا على غرة
تامة، لم يكونوا مستعدين من الناحية النفسية، وان الجانب الفرنسي
هو الذي "غدر بنقضه لهدنة ضمنية كانت سارية المفعول منذ
بضعة أيام" وأما خسائر المقاومة فقد بلغت حسب جان بيشون 400
رجل كانوا قد استشهدوا في بداية المعركة عندما قامت القوات
الفرنسية بحصار المخيم (85).

ومهما يكن، فإن المقاومين انتصروا انتصارا باهرا، ولكن
هل كان لهذا الانتصار أصداء بعيدة أم أن عواقبه لم تتجاوز زيان؟
لا نتوفر على المعطيات الكافية لتحليل موقف المقاومة
المغربية، ولذلك سنحاول، اعتمادا على بعض الأخبار، إبراز
الموقف الذي اتخذته بعض القبائل المجاهدة ، دون تفصيل كبير .

يبدو أن خبر الانتصار انتشر في المغرب كما ينتشر نثار البارود فقد انطلق من أسواق جبال الأطلس التي عرض فيها موحا وحمو الغنائم و التي وجه منها نداءا إلى المدفعيين والجنود المغاربة الذين رفضوا العمل مع الجيش المحتل للالتحاق به، وامتد الخبر إلى ملوية السفلى وإلى تافيلالت، و إلى حوز مراكش مروراً بالمغرب الأوسط، و تداولته الألسن حتى علمه سكان بوذنيب في أقصى شرق المغرب، في نفس اليوم الذي جرت فيه المعركة (86). وكان وقعه شديدا على القبائل حيث أحدث غبطة وارتياحا، وأعاد مجددا الأمل في تحرير البلاد من قبضة الاستعمار، ويطلعنا J.Cagne في كتابه Nation et Nationalisme au Maroc

على جانب من الإحساس الذي عم المغرب حيث أشار إلى أن

انتصار لهري قوبل بفرح كبير في المغرب كله،

وجدد الحماس لدى أعداء التدخل الفرنسي (87).

ويضيف L.Barthou

" في المغرب انتشر خبر لهري واستغله المغاربة بحيث

أحدث أضرارا للحماية، وأعطى لموحا وحمو ثقة

كبيرة، بينما خسرت فرنسا هيبتها ونفوذها (88).

لقد خلق الانتصار الذي أحرزه زيان ديناميكية في المجتمع

المغربي وبخاصة في البوادي التي لا زالت تقاوم، كما خلق مناخا

ثوريا كاد أن يعصف بالاستعمار الفرنسي، وذلك لأن المعركة لم تقف أبعادها عند الخسائر المادية والبشرية التي تكبدتها القوات الفرنسية، بل تعدت ذلك لتوجيه ضربة قاضية للجهاز الاستعماري، حيث شكلت دحضا نهائيا لهذه النظريات الاستعمارية المغرضة التي تصور المقاومة كعمل من أعمال اللصوص وقطاع الطرق والمنشقين.

وهكذا جاء رد فعل المقاومة المغربية سريعا، فقد أضرمت واقعة لهري الحرب في عدة جهات من المغرب وتأجج الجهاد حتى أصبح الاستعمار على حافة بركان (89).

- ففي منطقة تازة التي دوى فيها صدى لهري عميقا، قامت قبائل التسول والبرانس وغيثة بسلسلة من الهجمات على مواقع الجيش الفرنسي وعلى طوابير التموين (90)، وامتد هذا الدوي إلى قبائل الريف التي أوفدت مبعوثين إلى زيان ليعلنوا للقائد دعمهم، ويطلعوه على أحداث أوروبا، وخاصة انهزام فرنسا أمام ألمانيا الذي اعتبروه مؤشرا على الجلاء من المغرب (91).

- وفي منطقة فاس، بلغ الغليان أوجه في قبائل آيت يوسي، التي أجمعت أمرها على ربط الاتصال مع زيان للقيام بعمل مشترك (92)

- وفي الجنوب تلقت قبائل آيت حديدو وآيت عطا، وآيت مرغاد، وآيت عتاب نبأ الانتصار بارتياح كبير، وعقدت عزمها على مواصلة الحرب ضد الاستعمار كمخرج وحيد لتحرير البلاد(93)، وكانت الرسائل التي بعث بها موحا وحمو إلى هذه القبائل كلها تحريضا على الدفاع عن حوزة الإسلام وحماية الوطن، فقامت الناس متأثرة بتلك المكاتب. يدل على ذلك زحف المقاومين نحو مراكش رغم تدخل الباشا التهامي الأكلوي، ولايستعبد أن يكون هذا الزحف بإشارة من الشيخ أحمد الهيبة الذي تربطه علاقة صداقة مع الزعيم الزياني، والذي أطلق في هذا الوقت بالذات صرخة الجهاد من مقره بكردوس، مهددا باكتساح بلاد سوس (94).

- وفي المغرب الأوسط عاشت قبائل زعير وزمور حالة التحفز، واعتبرت انتصار لهري بمثابة محطة رئيسية على درب التحرير (95)

- ومن أعالي جبال آيت سخمان، لبى سيدي علي أمهاوش نداء القائد، ووضع تحت تصرفه مقاتلي القبائل المنضوية تحت لوائه، ثم طلب من القائد موحا وسعيد الويراوي أن ينضم إلى حركة الجهاد، وكانت خسائر الكولونيل مانجان الفادحة التي مني بها في شعاب القصيبة قد شجعتة في التأثير على قبائله (96).

- وفي بلاد زيان كسرت المعركة طوق الجيش الفرنسي الذي فرضه على القبائل منذ احتلال خنيفرة، حيث حرماها من الانتجاع، وأصبحت طريق الأزغار مفتوحة، وقد جاء في كلام سعيد كُتون مذهبنا إليه، حيث ذكر في كتابه السالف الذكر (97) أن عملية الانتجاع أعيد تنظيمها بعد معركة لهري، ووفق معطيات جديدة. فتحت تأثير قائد المقاومة، قررت الجماعة أن تتم عملية الانتجاع على شكل ثلاث مجموعات كبيرة وقوية بحيث تستطيع كل مجموعة أن تدافع عن نفسها بوسائلها الخاصة، في حالة الإعتداء عليها من قبل المحتلين.

- كانت المجموعة الأولى تتكون من آيت بومزوغ، وآيت بومزيل وآيت عمو عيسى، وآيت خوي، وآيت بويشي، وآيت علا، وآيت معي، وكان عليها أن تعبر وادي أم الربيع نحو الضفة الإطلانكية من قنطرة أساكا شمال قرية البرج، وتنتجع في اتجاه كُلموس

- وتتكون المجموعة الثانية من آيت شارظ، وآيت بوهو، وآيت لحسن، وآيت حدو وحمو، وإيهبارن، وإمزناثن، وآيت يعقوب أوعيسى، وتقرر أن تمر هذه المجموعة من قنطرة تاجموت، وتنتشر في منطقة بورار وسيدي عمرو.

- أما المجموعة الثالثة التي تضم آيت اسحاق، وآيت بوحدو، وآيت حماد أوعيسى، فينبغي عليها أن تتجمع من قنطرة خلادة، وتذهب بقطعانها إلى مراعي جبل الحديد، بمحاذاة مع قبائل أم البخت، وآيت ويرا.

وهكذا عادت القبائل إلى الإنتاج، وهي لا تبالي بشيء، كما جاء على لسان الجنرال كيوم حيث قال

" كان المتمرّدون يتقدمون في كل شتاء، وحتى سنة 1920، أكثر في مناطق الأزغار، ويحاصرون مراكز خنيفرة وسيدي لامين وكلموس (98).

ويضيف ليوطي

حقا إن قضية لهري غيرت في هذا الوقت بالذات - الوضعية وبعثت الثقة و الأمل في نفوس المتمردين ... وقد استغلوها كما كنا نتوقع (99)

وهكذا تبين للفرنسيين، بعد انهزامهم، أن الهدف الذي جاءوا من أجله بعيد المنال، فالاستيلاء على زيان أصبحت عملية عسكرية تتطلب وقتا طويلا وأسلحة فتاكة، ولن يتأتى هذا إلا بعد الحرب الأوروبية. هذا بالنسبة للمغرب، فماذا عن الحماية الفرنسية؟.

من التقارير الفرنسية (100)، يتأكد أن حدث لهري قوبل بموجة من الذهول، حيث تساءلت الأوساط الاستعمارية كيف يمكن

لخصم يتكون من مجرد عصابات من الفلاحين - ليس لها من السلاح إلا بعض البنادق، ولا تكاد تطلق النار حتى تلوذ بالفرار - أن تنتصر على أقوى جيش في العالم. ولإيجاد مخرج للهزيمة، تذرع المسؤولون بالإندفاع الطائش لقائد الجيش، الكولونيل لا فيردور، الذي أثر المصلحة الشخصية على المصلحة العامة (101). وكيفما كانت التبريرات، فإن الهزيمة زعزت، بضربة واحدة، دعائم الاستعمار بالمغرب، من حيث ضخامة الخسائر في المعدات والأرواح، علق ليوطي بأن

الخسارة المادية لم يسبق لها مثيل، وليس في تاريخ فرنسا الاستعماري مثل هذا التدمير في قوة هامة، وخسارة مثل هذا القدر (102)

ففي الميدان السياسي وجدت إدارة الحماية نفسها أمام ثورة عارمة تهدد الوجود الفرنسي بالمغرب كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وكان ليوطي يخشى، نظرا لتقليص أعداد الجنود في المراكز بسبب الحرب الأوروبية، من اندلاع حركة كاسحة للمقاومة الوطنية شبيهة بتلك التي اندلعت غداة توقيع عقد الحماية (1912)، فتقلب الوضعية رأسا على عقب، حيث تنتشر الشرارة، ليس فقط في المناطق الخاضعة، ولكن قد تمتد أيضا إلى المستعمرات الأخرى في شمال أفريقيا، والحال أن إدارة الحماية ليست لها إمكانيات

لتقديم الدعم وإرسال تعزيزات لايقاف هجوم المقاومة، فيصبح نظام الحماية في خطر، وربما قد يؤدي ذلك إلى سقوطه (103). ويتحدث المسؤول عن غزو زيان وهو الجنرال هنريس، عن حركة الجهاد الذي عم المغرب، فيقول:

كانت هزيمة لهري ، خطيرة جدا فقد أوقدت نار القتال، وكنا فجأة أمام حريق يهدد الوجود الفرنسي بكامله (104).

ويضيف J. D'Esme

" لقد أعدنا لموحا وحمو الشهرة التي بدا يفقدها كل يوم أكثر فأكثر، وأخرنا غزو زيان بسبعة أعوام، كانت كلها خسائر باهضة الثمن بالنسبة لنا (105).

واضح مما سبق أن هزيمة لهري كانت شديدة الوقع على الحماية، ولكن هل أدى ذلك إلى التفكير في الانسحاب من بلاد زيان ؟

يمكن أن نجيب على السؤال بنعم إذا اعتبرنا مايلي

1 - إن الحرب الأوروبية وضعت فرنسا في موقف سيء

بحيث لا قدرة لها على توجيه مدد إلى المغرب.

2- إن هزيمة لهري تزامنت مع هجوم الألمان على

شمال شرقي فرنسا.

3 - إن دخول تركيا في الحرب إلى جانب ألمانيا ضد فرنسا، وإعلان الجهاد في العالم الإسلامي من قبل الإمبراطور العثماني، أحدثا ارتياحا كبيرا في المغرب، لأن تركيا كانت تمثل في نظر المغاربة الدولة الإسلامية الوحيدة التي لا تزال تحتفظ باستقلالها.

4- إن هزيمة فرنسا في معركة غليبولي (1915) أعطى لتركيا مكانة عالية في الأوساط المغربية، وبدأ المغاربة يدركون بأن هناك دولة إسلامية تستطيع أن تجابه قوة الغرب، فلماذا لا نكون نحن كذلك (106).

انطلاقا مما ذكر، يمكن القول إن ليوطي كان قد فكر في وقت، في مسألة الانسحاب من بلاد زيان، إذا لم تكن حامية خنيفرة قادرة على صد هجمات المقاومة، وهذا ما أشار إليه L.Barthou عندما قال

الواقع أن ليوطي كان - في قرارة نفسه - ينوي

الانسحاب من جبهة زيان - خنيفرة - تادلة" (107)

غير أن ليوطي تراجع عن رأيه، وحاول تطويق عاصفة لهري من منطلق الحفاظ على المغرب لاعتقاده انه ، لو أقدم على الانسحاب من جبهة زيان لضاع المغرب، لأن هذا الانسحاب سيتمخض عنه - حسب زعمه - نتائج خطيرة. ذلك أن المقاومة

ستهاجم، وتجبر القوات المنسحبة أن تحارب متراجعة مما سينهكها، وسيبدو حينئذ من الصعب حتى الإحتفاظ بالساحل، بل أكثر من ذلك سيترك ما يجري في المغرب أثره في الجزائر (108). وبدلاً من هذا، كانت خطة ليوطي تقوم على دعم الوجود الفرنسي في بلاد زيان بوسائل ثلاث:

-الوسيلة الأولى وقد اتبعتها الإسبان في الريف، وهي التي قامت على إرسال وحدات عسكرية. فبعد بضعة أيام من الهزيمة تحرك الفرنسيون إلى موقع لهري بعدما جاءتهم الإمدادات والنجادات من مكناس وتادلة. وقد بلغ تعداد قواتهم هذه المرة 2500 جندي ، يقودها الجنرال هنريس، ويساعده الكولونيل - GARNIER DUPLESSIS، قائد حامية تادلة، وتعززهم قوة جوية، أي ضعف عدد قواتهم في الحملة الأولى. جاءت هذه القوات لا للأشتباك من جديد مع زيان، ولكن لتخويفهم وترهيبهم.

-وتعتمد الوسيلة الثانية على التعتيم الإعلامي، والتحريف الصحفي، وهي نوع من العنف والعدوان أيضاً. فقد حرص ليوطي أشد ما يكون الحرص، على إحاطة ما خلفته معركة لهري من خسائر بكل ما يمكن من الكتمان. ففي برقية (109) له طلب من حكومته ألا ترى في الهزيمة سوى عثرة في مسيرة الغزو، وبالتالي واقعة من الوقائع التي يمكن أن يتعرض لها الجيش في أي مكان

من الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، كما طلب منها أن تقلل من أهميتها على صفحات الإعلام، وكأن فرنسا لم تخض حرباً. وقد نجح ليوطي بفعل انشغال الرأي العام الفرنسي بالمعارك ضد ألمانيا، بحيث أغرقت نتائج لهري في صلصلة السلاح، ويقول L. Barthou:

" في فرنسا ، وفي غمرة القتال، وتحت يقظة

الرقابة لم يكن لقضية لهري صدى يذكر " (110)

-أما الوسيلة الثالثة، فترتكز على إخفاء الحقائق على

المغاربة. فقد عمل ليوطي كذلك على تلطيف وقع الهزيمة، لأن أمر الإعلام بها - أو السكوت عنها - كان كله بيده، وأول شيء قام به هو تجنيد شبكة من الرقاصين، كانوا ينتقلون من سوق إلى سوق ومن قبيلة إلى قبيلة، ويجوبون البلاد طولا وعرضا مشوهين الأحداث تشويها، ومشككين في انتصار زيان (111)، وثانيا أطلق لضباط المراكز العنان لتحريف الأحداث وتزييفها، فعمدوا إلى إشاعة سلسلة من الأكاذيب المتعمدة، كانوا يهدفون من ورائها إلى بث الغموض و الحيرة في النفوس وبالتالي إحداث البلبلة حتى تختلط الأمور في أذهان الناس (112). ولسنا بحاجة إلى بذل الجهد لإبراز هذه الحقيقة ، فقد كفانا الكولونيل Simon ، مدير الإستخبارات، توضيحا إذ كتب يقول

يتعين عليكم العمل على الحد من انفعال الأهالي، وإخماد تلك
الموجة من الحماس الجنوني بإشاعة الخسائر الفادحة التي
تكبدها زيان والشلوح (700 قتيل) كما يتعين عليكم إفشاء
التدابير التي اتخذناها للانتقام منهم (113).

وهكذا جاءت الأخبار حول لهري متناقضة من هذه المنطقة
إلى تلك، ولم تثر إلا اهتماما قليلا، لأن القبائل وخاصة البعيدة منها
من ساحة القتال، أذهلتها النتائج لفرط الخسائر الفرنسية التي لا
مثيل لها، فبدت لها الإخبار الواردة من زيان غير مقبولة، فبقيت
تحت عقدة الهزيمة، بل هناك من بحث عن سبل السلم إن لم نقل
الوفاق مع المحتلين.

خاتمة:

يعتبر سحق القوات الفرنسية في معركة لهري، يوم 13 نونبر 1914، تاريخا لواقعة كبرى، هزت دعائم الاستعمار الفرنسي من أقصاه إلى أقصاه، وخلقت له كابوسا حقيقيا، كان من الممكن استثماره لإيجاد ارتباط بين قادة المقاومة الوطنية، و القيام بنشاط عام ومركز في كل الجهات من البلاد

غير أن هذا الانتصار بقي بدون غد، فرغم الغنائم التي عرضها موحا وحمو في أسواق الجبال بين أم الربيع والملوية، ورغم النداء الذي وجهه للجنود المغاربة الرافضين الخدمة مع العدو ، ورغم المكاتب التي بعث بها إلى قادة المقاومة، كل ذلك لم يجد استجابة، وحتى الدعاية والتحريض الألماني، ودخول تركيا الحرب، وصرخة الجهاد التي أطلقها السلطان العثماني من استانبول، و الذي كان يهدف من ورائها إلى تنسيق جهود المقاومة المغربية للقيام بهجوم كاسح، يواكب هجوم الألمان على باريس، لم ينجح بتركيز عمل المقاومة والتعاون بصورة فعالة

صحيح أن حدث لهري هز الوجدان الديني والوطني، ودفع المجاهدين في مختلف مناطق البلاد إلى مواصلة الهجمات على مواقع جيش الاحتلال، في محاولة لاستغلال مصاعب الفرنسيين.

ولكن المقاومة المغربية بقيت انفرادية، ولم ترق أبدا إلى مستوى الأحداث ، وبالتالي لم تغير معركة لهري شيئا من وضعية المناطق المهدئة "، ولم تتوقف محاولات التغلغل الاستعماري في البلاد. هذا بالنسبة للمغرب، أما بالنسبة لزيان، فقد غنمت المقاومة في موقعة لهري 700 بندقية، وجميع المدافع، وجميع الرشاشات وذخيرة كبيرة العدد، وقافلة من البغال التي استعملتها الوحدات الفرنسية في الهجوم، كما غنمت جميع الدواب الأخرى، "زودتها" فرنسا في هذه المعركة بكل ما تحتاج إليه لتعويض نقصها الكبير في الأسلحة و الذخيرة، بل زودتها بما يكفل لها تنظيم "جيش" ذي عتاد وموارد لم تكن تحلم بها، هذا بالإضافة إلى ما بعثته المعركة في نفوسهم من الروح المعنوية التي يذكىها النصر ويبعثها اليقين بالظفر.

غير أن موحا وحمو الذي بهت الفرنسيون لمقاومته الشديدة، لم يستثمر هذا الانتصار، ويسترجع عاصمته خنيفرة، ويستول على كميات كبيرة من العتاد والمؤن المخزونة فيها، لأن استرداد المدينة كان هو الكفيل ليبرهن للرأي العام المغربي المريب - نظرا لوقوعه تحت تأثير الدعاية الاستعمارية وخداعها - أن انتصار لهري لا جدال فيه، ولعله هو الكفيل أيضا لإعادة محاولة وحدة

المقاومة الوطنية بعد أن انفرط عقدها منذ بداية الحماية عندما انهزم الشيخ أحمد الهيبة في معركة سيدي بوعثمان

ويبدو أن موحا حمو لم تكن لديه رؤية واضحة واستراتيجية شاملة بما يجري على الساحة المغربية فأحرى الساحة العالمية، وقد يعزى ذلك إلى أمرين الأول أنه لم يكن يطلع على أحداث العالم ولا يقرأ الصحف رغم أنه كان يتوصل بها بواسطة البريد الألماني، ولا يعلم أي شيء عن الثورات مثل ثورة 1789، ومثل بطولات الليبيين وما حققه عمر المختار إلخ. الثاني أن العامل الجغرافي لعب دورا في عزلته، فإذا جاز لنا أن نقارن بينه وبين بطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي استفادت مقاومته من محاذاتها للبحر الأبيض المتوسط، -صلة وصل بين المغرب من جهة وأوروبا والشرق من جهة أخرى - فإن حرب الأطلس المتوسط ضد الاستعمار ظلت مغمورة وشبه منسية، وهكذا بقي موحا وحمو سجين فكرته القديمة التي مفادها أن الفرنسيين سوف ينسحبون من المغرب بعد انتصار ألمانيا على فرنسا.

ومع ذلك، فقد قاوم وعبا وجاهد ، ولقن الفرنسيين درسا من الدروس التاريخية الكبرى، وأسمع صوت زيان الذين اتخذتهم فرنسا "مخبرا" انتروبولوجيا ل "سياسها البربرية"، ووقف صامدا أمام محاولة الهيمنة الشاملة التي كانت لا تعني فقط السيطرة على

الأرض، بل كانت تعني أيضا نشر ديانة المستعمر ولغته، تحت ضغط الكنيسة و المغامرين العسكريين ذوي النزعة الصليبية، وهذه المعركة، وإن لم تنته إلى لم شتات المقاومة وتوحيدها فقد هيات الجو في آخرين، وبعثت فيهم شعورا استفاد منه الوطنيون فيما بعد.

هوامش القسم الثاني

1- Lyautey à sa Soeur , in choix de lettres (1882-1919) présentées par le Lieutenant colonel Pontiers d'Amécourt, A. colin , 1947 , p 310.

2- J.Le Prévost , op , cit ,pp 150-152.

3- أحمد المنصوري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 99.

4- نفسه

5- Général Catroux,Lyautey le marocain , Hachette , 1952 , p 63.

6- Rapport n°263 CMC, Lyautey à Guerre, affaire de khenifra Rabat,16 décembre 1914 A.M.G.

7 - نفسه

8- Le Réverend , op , cit , p 273.

9- Préface du général Henrys , in EL Herri op , cit

10- Général Guillaume , op , cit , pp 141-143, voir aussi J. le Prévost, op , cit , p 153.

11- نفسه ص 148.

12- نفسه.

13- Rapport n° 263, op .cit .

14- نفسه.

15- نفسه.

16- J.Le Prévost , op , cit ,p 158.

17- نفسه

18- نفسه ، ص 157.

19- نفسه ، ص 161.

20 - Général Guillaume , op , cit , p 159.

21- سعيد كنون ، المصدر السابق ، ص، 155.

22 - J. le.Prévost , op , cit , p 152.

23 - نفسه 153.

24- Gl . guillaume , op , cit , p . 160 voir aussi Jean Pichon , op , cit , pp. 39 à 42.

25- نفسه

26- نفسه ، ص 93.

27- M.Le Glay Les sentiers Op. cit , p 12.

28- تحدث المسنون والأشياخ أن هؤلاء الشناكطية ينحدرون من جيش البخاري الذي كان مرابطا، أيام السلطان مولاي إسماعيل، في موقع أدخسان، وهناك من يزعم أنهم من شذاذ الآفاق ، جاءوا من القبائل المجاورة بعد اقترافهم جرائم ، فاستجاروا القائد، فأجارهم أنظر كذلك J.Le Prévost , op , cit , p 114.

29- المصدر السابق ص: 12.

30- المصدر السابق، ص: 121.

31- المصدر السابق، ص، 157.

32- المصدر السابق، ص 222.

33- نفسه ، ص 91.

34- P Belot , trente ans de baroud , B.Artaud , Paris 1945 p .120.

35- المصدر السابق ، ص، 131.

36- أحمد المنصوري ، ج 1 ، ص 102-103.

37- Voir: G.Surdon , institutions et coutumes des Berbères du Maghreb , éd . internationales , Tanger, 1936 , p 155.

38-J.Le Prévost , op .cit , p 56.

39-CH. De Foucault, Reconnaissance au Maroc (1883-1884) Challamel , 1888 , p , 45.

40 - سعيد كُنُون، المصدر السابق، ص41.

41- M.Le Glay , les sentiers ...op .cit , pp .99.100.

42- المصدر السابق ، ص ، 349.

43- G .Maxwell El Glaoui , dernier seigneur de l'Atlas (1893-1956) , traduit de l'anglais par Jacques Papy , Fayard 1966 , p .124.

44- أحمد المنصوري مصدر سابق ، ج 1 ، ص 6.

45- نفسه ، ص 4.

46- التقي العلوي، أصول المغاربة ، القسم البربري، اتحادية أيت يدراسن،

مجلة البحث العلمي يناير / أبريل 1975، عدد 24، ص 78-81.

47- نقلا عن عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة

العصرية ، بيروت 1986 ، ص ، 148.

48- كتب M. Le Glay في مقال بعنوان L'école française ما يلي

"يجب أن يحذف تعليم الديانة الإسلامية و اللغة العربية من مدارس البربر،

وان تكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية أنظر Renseignements
coloniaux, 1916.

49- أحمد المنصوري المصدر السابق ، ج 2 ، ص 5.

50 - J. Le Prévost , op , cit , p 157.

51- ينبع هذا النهر من ثنايا فجاج جبل أقبوس ومريغ في قبائل أيت شارظ

وأيت عمو عيسى ، شرقي خنيفرة أنظر الخريطة.

52- جان بيشون ، المصدر السابق ، ص 72.

53- نفسه

54- J.Le Prévost , op , cit , p 157.

55- نفسه.

56- نفسه ، ص 165.

57- جان بيشون ، المصدر السابق ، ص 93.

58- المصدر السابق ، ص 95.

59- J. Le Prévost , op,cit, p 168.

60- المصدر السابق ، ج 2 ، ص 100.

61- جان بيشون ، المصدر السابق ، ص 100.

62- المصدر السابق ، ص، 164.

63- J. Le Prévost , op ,cit , p 164.

64- المصدر السابق ، ص220.

65- جان بيشون ، م.س.ص ، 111-112.

66- سعيد كُتون ، م.س.ص 162.

67- جنرال كُيوم ، م.س.ص.162.

68- المصدر السابق ، ص220.

69- جان بيشون ، م.س.ص.119.

70- المصدر السابق ، ص161.

71-انظر جان بيشون ، ص.134.

72- المصدر السابق ، ج2 ، ص 101.

73- نقلا عن ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية،

ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، ص 103.

74- الرواية الشفاهية.

75- G. Bernié , op , cit , p 68.

76- أحمد المنصوري ، م.س.ج 2 ، ص 102.

77- سعيد كُتون ، م.س.ص 222.

78- أحمد المنصوري ، م.س.ج 2 ، ص، 102.

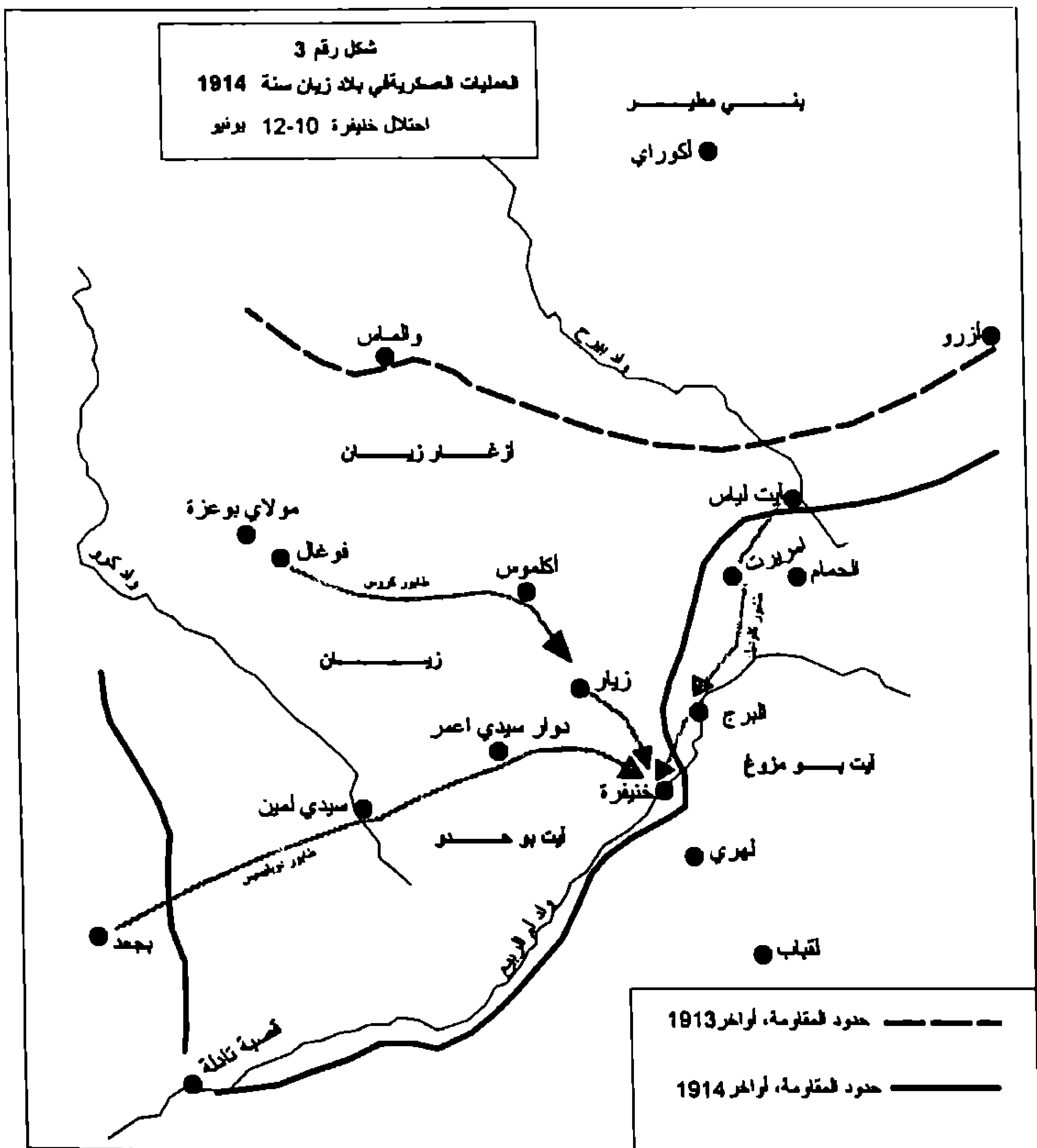
79- سعيد كُتون ، م.س.ص. 222.

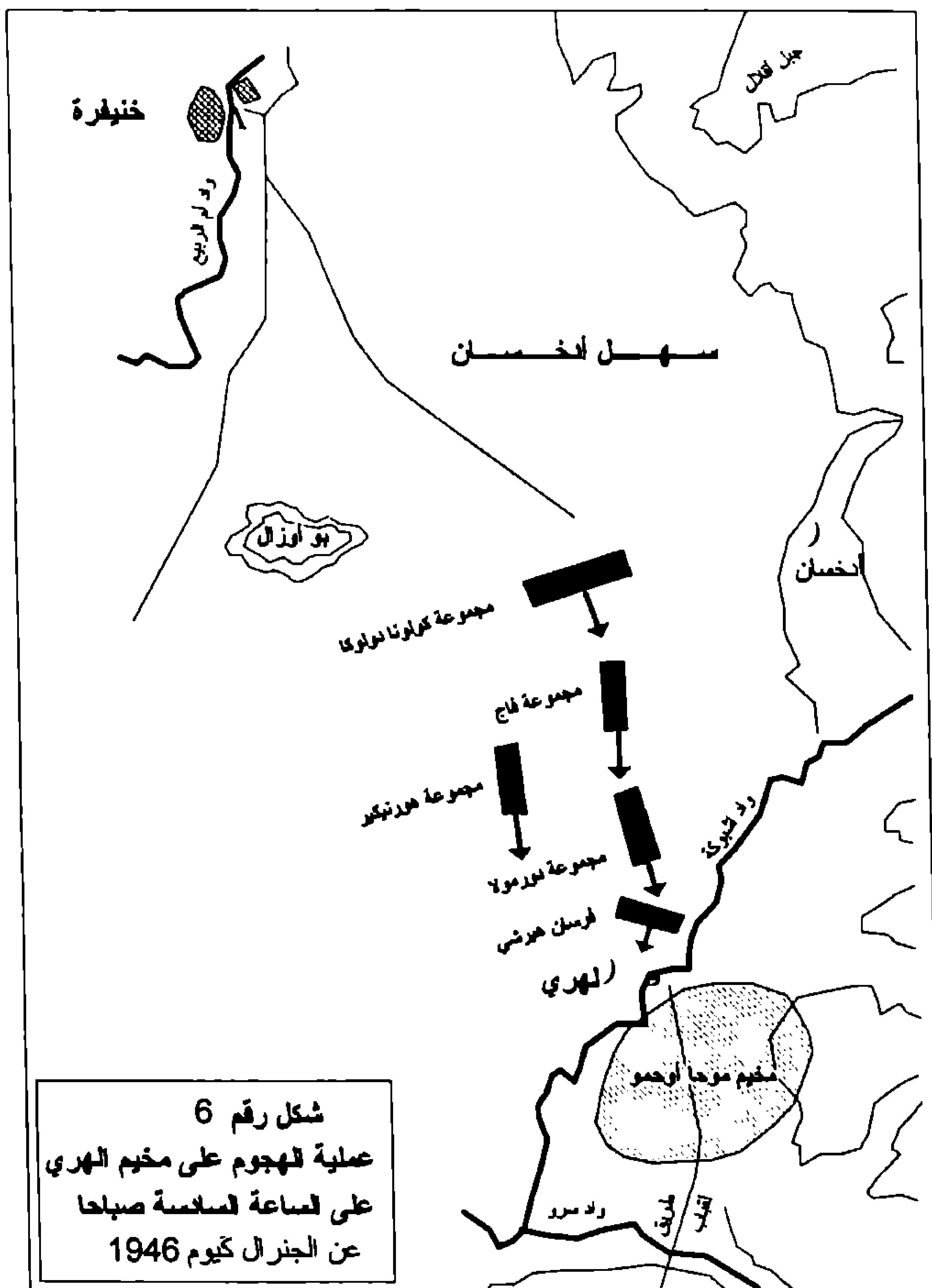
80- G .Martinet Moha ou Hamou et la bataille d'El Herri , le
matin du sahara 1988.

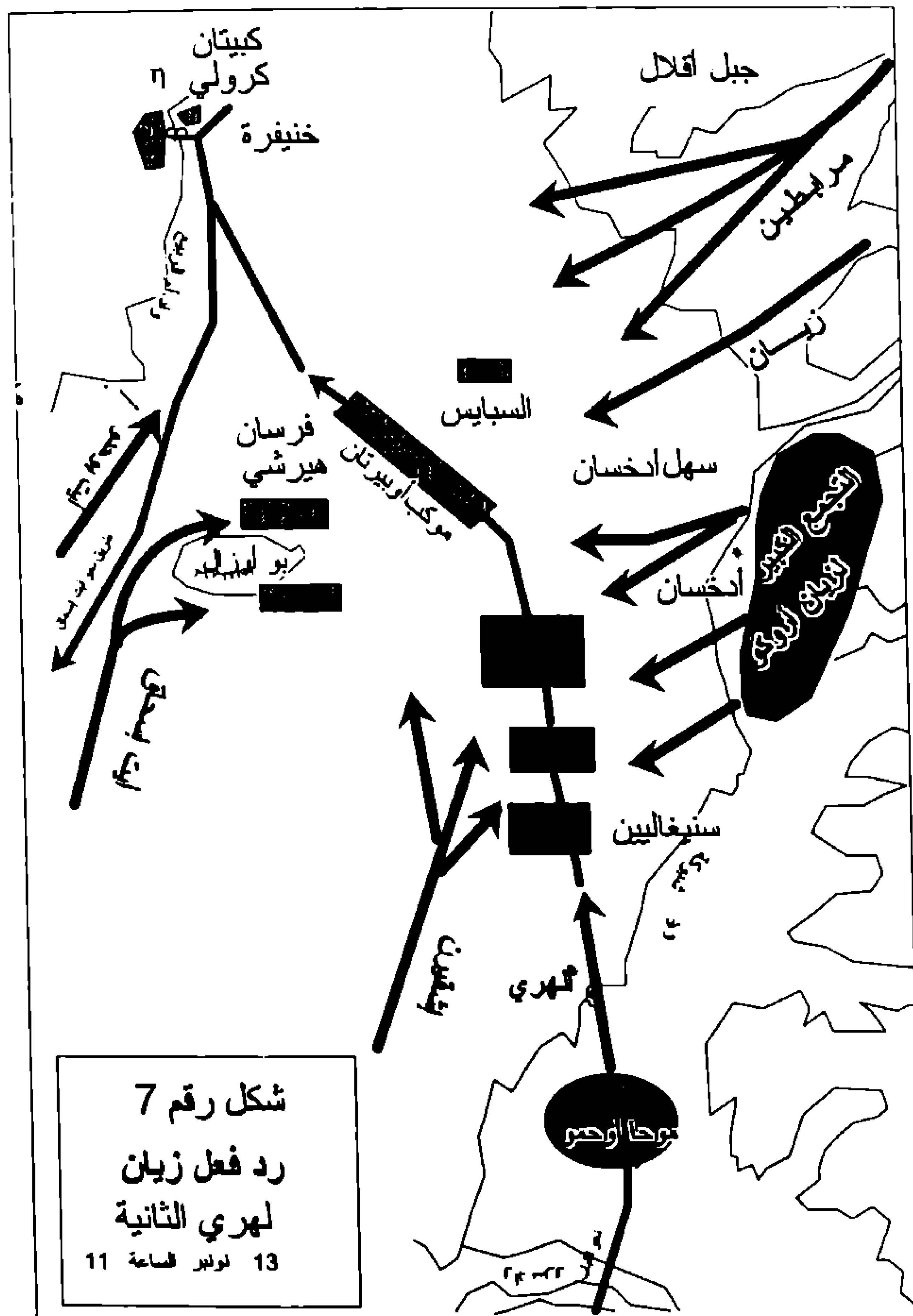
- 81- المصدر السابق ،ص 166.
- 82- المصدر السابق ، 153.
- 83- المصدر السابق ، ص163.
- 84- المصدر السابق ، ص167.
- 85- J. Pichon , op .cit , p 120
- 86- نفسه
- 87- J.Cagne Nation et Nationalisme au Maroc , Rabat 1988, p , 207.
- 88- L . Barthou , Lyautey et le Maroc , éd , du petit parisien , Paris 1930 , p , 207.
- 89-Lyautey L'africain , op , cit ,p 300.
- 90- نفسه ، ص 315.
- 91- التقرير رقم 263، م.س.
- 92- Telegramme n° 433 c , commandant de la région de Fés à Lyautey Fés , 17 novembre 1914 , carton 26 A.A.E.
- 93- Telegramme n°971 , Lyautey à A.A E, Rabat , 21 novembre 1914 , carton 26 A.A.E.
- 94- نفسه
- 95- Lettre du colonel Simon, directeur du service des renseignements à Lyautey ,Rabat 16 novembre 1914 , carton 26 , A.A.E.
- 96- Télégramme n°556 , commanndant du territoire de Tadla à commandant région de Meknés, Tadla 17 novembre 1914, carton 26 A.A.E.
- 97- المصدر السابق ، ص 227.
- 98- Gl. Guillaume , op cit , p 160
- 99- Lyautey L'african , t 2 p 300
- 100- نقلا عن جان بيشون ، م، س، المقدمة.
- 101- Lyautey l'africain , op cit , p .300.
- 102- نفسه
- 103-Général Catroux , Lyautey le marocain op , cit.p65. 310

- 104- نقلا عن جان بيشون ، مصدر سابق ، المقدمة.
- 105- المصدر السابق ، ص 207.
- 106-Lyautey l' africain , op , cit t 3 ,p 16.610
- 107- المصدر السابق ، ص 69.
- 108- Lyautey l'africain , op , cit , t 2 p 16.
- 109- Télégramme C.M.C, Lyautey à Consul de France à Tanger , casablanca , 17 novembre 1914 , carton 2b , A.A.E.
- 110- المصدر السابق ، ص 68.
- 111- Lyautey L'africain t1 op cit p 301. 112-Rapport
- ، Simon رسالة الكولونيل 113 mensuel du protectorat , 1914 , p 7.
- مصدر سابق.

[illegible]







لائحة الرموز

A.M.G Ar drives du Ministère de la Guerre,
Château de Vincennes – paris.

A.A.E = Ar drives des Affaires Etrangères – Paris.

محتويات الكتاب

3.....	مقدمة
10.....	القسم الأول الدوافع المفجرة لمعركة لهري
11.....	1- فشل غزو زيان رغم احتلال خنيفرة
32.....	2- فشل استقطاب القائد موحا وحمو لمشروع الحماية
47.....	3- خنيفرة تتحول إلى بريزيديو
78.....	القسم الثاني المعركة
79.....	1- محاولة فك الحصار على خنيفرة باختطاف قائد المقاومة
87	2- الاستعداد للهجوم على مخيم لهري
99.....	3- معركة لهري الأولى والاستيلاء على المخيم
109.....	4- معركة لهري الثانية والنصر المبين
129.....	خاتمة

خرائط

لائحة الرموز

محتويات الكتاب



إن الذي يفسر تدفق جماهير الفلاحين على لهري
يوم 13 نونبر هو روح الجهاد في العقيدة الإسلامية،
إنه الإيمان، والإيمان وحده الذي خالط سويداء قلوبهم،
وتفوق على الأنظمة العسكرية. فقد كان الإسلام في
المقاومة المسلحة المغربية الأداة الرئيسية، إن لم نقل
الوحيدة في التعبئة على المستويين الفكري والروحي
لمواجهة كل أشكال وأنواع الاحتلال الأجنبي. فباسم
الإسلام وعن طريقه وبواسطته استتفرت القبائل،
واستهضت الهمم، وتوالت التضحيات، وسالت الدماء
لتحرير الأرض الإسلامية من دنس المحتلين
والغاصبين، وباسم الإسلام جاءت الجموع الغفيرة إلى
لهري لتعلن للغزاة أنها تقف ضد التجزيء والتفكيك،
و ضد الاستلاب الثقافي والاغتراب اللغوي
والحضاري.